أَثَرُ الْبِيْئَةِ الطَّبِيْعِيَّة فِي تَكْوِيْنِ تَجْرِبَةِ السَّيَّابِ النَّفسيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ

م.م. حُسين عَطيَّة صالح

hussein.salehckm@atu.edu.iq

جامعة الفرات الأوسط/ كُلِّيَّة التَّقنيَّاتِ الصِّحِّيَّة والطِّبِّيَّةِ/ كوفة

م.م. منتظر جواد كاظم

جامعة الفرات الأوسط/ المعهد التقني/ الكوفة

م.د. مهنَّد بديع ناجي

جامعة الفرات الأوسط/ كُلِّيَّة التَّقنيَّاتِ الصِّحِّيَّة والطِّبِّيَّةِ / كوفة

الملخص

تَسْعَى هَذِهِ الدِّرَاسةُ إِلَى إِظْهَارِ الأَثَرِ الْفَنِّيِّ الَّذِي تَتْرُكُهُ الْبِيْئَةُ بِالأَديبِ، فَأَخَذَتْ مِنْ شِعْرِ السَّيَّابِ وَحَيَاتِهِ دِرَاسةً مُسْتَنِدَةً عَلَى مَنْهَجِ التَّحْلِيْلِ النَّفْسِيِّ؛ لِتَحْلِيْلِ وَدِرَاسةِ شِعْرِ السَّيَّابِ الَّذِي تَجَسَّدَتْ فِيْهِ مَلَامِحُ الطَّبِيْعَةِ، فَالسَّيَّابُ ابْنُ الرِّيْفِ الْعِرَاقِيِّ بِأَنْهَارِهِ وَنَخِيْلِهِ وَبَسَاتِيْنِهِ، فَحَاوَلَتِ الدِّرَاسَةُ أَنْ تُبيِّنَ الأَثَرَ المُتبادَلَ بَيْنَ الْبِيْئَةِ وَالسَّيَّابِ، وَبَيَانِ مَدَى تَأْثِيْرِ الْبِيْئَةِ فِي تَجْرِبَتِهِ الشِّعْرِيَّة وَالنَّفْسِيَّةِ، لَاسِيَّما الْبِيْئَاتُ الَّتِي تَشَرَّبَها السَّيَّابُ وَظَهَرَتْ فِي قَصَائِدِهِ الْخَالِدَةِ، فَأَظْهَرَ الْبَحْثُ ثَلَاثَ بِيْئَاتٍ كَانَتْ لَهَا حَظْوَةٌ فِي شعرِهِ، وَهِيَ: الْبِيْئَاتُ الَّتِي أَلِفَتْها نَفْسُ السَّيَّابِ فَتَغَنَّى بِهَا فَرَحًا وَشَوْقًا، وَالْبِيْئَاتُ غَيْرُ الأَلِيْفَةِ ذَكَرَهَا حُزْنًا وَأَلَمًا، وَالْبِيْئَاتُ المُتَنَاقِضَةُ فَتَارَةً تَكُوْنُ مُحَبَّبَةً أَلِيْفَةً فِي ذَاتِهِ وَشِعْرِهِ، وَأُخْرَى تَكُوْنُ غَيْرَ أَلِيْفَةٍ مُوْحِشَةً، وَهَذَا التَّنَاقُضُ سَبَبُهُ التَّنَاقُضَاتُ النَّفْسِيَّة وَالَّتِي أَثَّرَتْ فِي حَيَاةِ السَّيَّابِ وَانْعَكَسَتْ عَلَى شِعْرِهِ.

الكلماتُ المفتاحيَّةُ: السَّيَّاب، المنهجُ النَّفسيُّ، البيئةُ، الطَّبيعة.

The effect of the natural environment on the formation of Al-Sayyab's psychological and poetic experience

Assistant Lecturer: Hussein Attia Saleh

Al-Furat Al-Awsat University \ College of Health and Medical Technologies \ Kufa

Muntadher jawad kadhim

Kufa Technical Institute

D. Muhannad Badie Naji

Al-Furat Al-Awsat University\ College of Health and Medical Technologies\ Kufa

Abstract

This study seeks to show the artistic impact left by the environment in literature, so it took a study based on the psychoanalytic approach from the poetry of the politician and his life; to analyze and study the poetry of the politician, in which the features of nature were embodied, as the politician is the son of the Iraqi countryside with its rivers, palms and orchards, so the study tried to The research showed three environments that were favored in his poetry, namely: environments composed by the same tourist, singing with joy and longing, environments that are not domesticated mentioned by sadness and pain, contradictory environments that are endearing to himself and his hair, and others that are not domesticated, lonely, and this contradiction is caused by psychological contradictions that affected the life of the tourist and reflected on his poetry.

Keywords: Al-Sayyab, psychological approach, environment, nature.

المُقدَّمَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيّنا مُحمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرسلينَ، وَعلى آلِهِ وأَصحابه المُنتجبينَ، وبعدُ.

يقفُ السَّيَّاب في الشِّعرِ الحديثِ موقفَ الثَّائرِ الَّذي يعملُ على قلبِ الأَنماط الشِّعريَّة الموروثة؛ ويُحاولُ أَنْ ينقلَ الفنَّ الشِّعريَّ مِن ذهنيَّةِ التَّقليد والتَّقديس للأَنظمة السَّائدة إِلى ذهنيَّةِ الحياةِ الجديدةِ الَّتي تنْطقُ بِلغةٍ جديدةٍ وطريقةٍ جديدةٍ، وَقد كانتْ محاولتُهُ الشِّعريَّةُ هذهِ مدارَ بحثٍ لدى الدَّارسينَ المُعاصرينَ، فتنوَّعتْ طرائقُ معالجاتِهم فمنْها مَا جاءَ مُهتمًّا بدراسةِ شعرِهِ مِنٍ منظورِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ، ومنها ما سلّطَ الضَّوءَ على جمالياتهِ الفنِّيَّة، وَعلى الرَّغم مِنْ كَثْرةِ الدِّراساتِ الَّتي تناوبتْ في شأنِ ذلكَ بيدَ أَنَّ محاولتَهُ مازالتْ كنزًا يُخبِّئُ الجديدَ، وقد أَسهمتْ جملةٌ من العواملِ في صياغةِ تجربتِهِ الشِّعريَّة الرَّائدةِ من أَهمِّها ما يتَّصلُ بالحياةِ الَّتي عاشَ فصولَها بِكُلِّ آلامِها وَأَحلامِها، وتحديدًا البيئاتِ الَّتي تشرَّبَها السَّيَّاب فكانَ لها أَثرٌ بالغٌ في تجربتِهِ النَّفسيَّة والشِّعريَّة ولاسيَّما البيئة الطَّبيعيَّة؛ ذلكَ بأَنَّ كُلَّ قصيدةٍ مِن قصائدِ السَّيَّاب تُعبِّرُ عن تجربةٍ خاصَّةٍ وَعَنْ وجعٍ أو موقفٍ خاصٍّ، ومِنْ هُنَا جاءَ البحثُ كي يُسلِّطَ الضَّوءَ على **((أَثر**

البيئــة الطَّبيعيَّــة فــي تجربــة السَّــيَّاب النَّفســيَّة والشِّــعريَّة)) ولعــلَّ الَّـذي حفّزنــي أَكثـر فــي اختيـار هـذا الموضـوع هـو قلّـة الدّراسـات الَّتـي تهـتمُّ بالتَّجربـة النَّفسـيَّة والشِّـعريّة إِنْ لـم تَكُـنْ مَعدومـةً تمامًـا، ولمَّـا كـانَ السَّـيَّاب قرويًّـا نشـأَ وترعـرعَ فـي أَعمـاقِ الرّيـفِ البصـريّ بكـلّ مـا تحتويـه تلـكَ البيئـةُ الطَّبيعيَّـةُ الخَصْـبَةُ مِـنْ مكوّنـاتٍ، فَقَـد جـاءَ بحثـي يهـتمُّ بـأثرِ تلـكَ البيئـةِ الطَّبيعيَّـةِ ومـا فيهـا مـن عناصـرٍ محسوسـةٍ فـي تجربـة السَّـيَّاب النَّفسـيَّة والشِّـعريَّة، وَأَعنـي بالتَّجربـةِ النَّفسـيةِ مَـا تتركُـهُ العناصـرُ مِـنْ أَثـرٍ يعمـلُ علـى صـياغةِ نظرتِـهِ لِلْعَـالَمِ الَّـذي يعـيشُ فيـه، وأَمَّـا التَّجربـةُ الشِّـعريَّةُ فهـي نتيجـةٌ للتَّجربـةِ النَّفسـيَّة، وقـد جـاءَ جمعـي بـين التَّجـربتيّنِ فـي العنـوانِ كـون الاولـى سـببًا، والثَّانيـةُ نتيجـةٌ قـدَّمَتْ نصًّـا شـعريًّا ممزوجًـا بعناصـرِ الطَّبيعـةِ، ولربَّمـا ثمَّـة مـن البيئـاتِ مـا يُـوحي فـي كونِهـا غيـرَ طبيعيَّـةٍ تمامًـا بيـدَ أَنَّ نظـرةً فاحصـةً تجعلُنـا نعجـزُ عـن الفصـلِ بينَهـا وبـينَ غيرِهـا، وهـذا مـا تؤكِّـدُهُ الشَّـواهدُ الشِّعريَّةُ والصّورُ الَّتي صاغَتْها.

يَحْرِصُ البحثُ على بيانِ مدى التَّأثير ومدى تفاعل السَّيَّاب في تلكَ البيئاتِ الطَّبيعيَّة، وهل ثمَّة أَماكنٌ طبيعيَّةٌ ألفتْها ذاتُ السَّيَّاب؟، وهل هنالكَ من أماكنٍ طبيعيَّةٍ غيرِ محبَّبة أو أليفةٍ لديه؟ وهل ثمَّة من بيئاتٍ وقفَ فيها السَّيَّاب موقفَ المُتناقض بينَ الحالينِ نتيجةَ نزوعٍ نفسيٍّ عاشَهُ السَّيَّاب؟ كلُّ هذه الأَسئلة وغيرها يُحاول البحثُ الإجابةَ عنها.

وتبعًا لِمَا تقدَّمَ جاءَ تقسيمي لبحثي على ثلاثةِ مباحث درسْتُ في **المبحثِ الاولِ** أَثرَ البيئاتِ الأَليفة في ذات السَّيَّاب وشاعريته بأنواعِها كبيئة غابات النَّخيل ((البساتين))، والبيئة النَّهريَّة، وبيئة الشَّناشيل، وفي **المبحث الثاني** تناولتُ أَثر البيئة غير الأَليفة في ذات السَّيَّاب وشاعريته ذاكِرًا القبرَ بوصفِهِ أحدَ العناصر الَّتي تجسَّدتْ في البيئة، والمدينةَ، والمستشفى، أَمَّا **المبحث الثَّالثُ** فقد درسْتُ فيه أثرَ البيئات الَّتي ظهرتْ في حالاتها المتناقضة كبيئة القرية جيكور، والمطر بوصفهِ بيئة، ومنزل الأقنان، والتناقض هنا يعني أن ثمَّةَ شعورًا مزدوجًا لدى الشَّاعر، فتارةً محبَّبةً وأليفةً، وأُخرى غيرَ محبَّبةٍ.

وقد سلكْتُ منهجًا يبدأُ بوصفِ البيئةِ وينتهي بتحليلِها في ضوءِ منحىً نفسيٍّ، ولعلَّ من أَهمِّ الدِّراساتِّ التي أفدتُ منها هي: بدر شاكر السَّيَّاب الأَعمالِ الشِّعريَّة الكاملةِ تقديم ناجي علوش، وبدر شاكر السَّيَّاب دراسة في حياته وشِعره لإحسان عباس، وبدر شاكر السَّيَّاب أُنموذجٌ عصريّ لم يكتملْ، دِراسة في تجربة السَّيَّاب الحياتيَّة والفنِّيَّة والشِّعريَّة لسالم المعوش، وبدر شاكر السَّيَّاب حياته وشِعره لعيسى بلاطة، وبدر شاكر السَّيَّاب شاعر الوجع لأنطونيوس بطرس، فضلًا عن التَّفسير النَّفسي للأَدب لعزّ الدِّين إسماعيل، محاولًا قدرَ الإمكانِ تقديم مقاربةٍ تُجيبُ عن الأَسئلةِ الَّتي وضعَها البحثُ.

التَّمهيدُ

أَوَّلًا. علاقةُ عِلْمِ النَّفسِ بالأَدبِ.

إنَّ قيمةَ الأَدبِ لا تبرزُ إلَّا عبرَ تأثيرِهِ في النَّفسِ الإنسانيَّةِ ويكادُ هذا يكونُ قاسمًا مشتركًا بينَ الآدابِ العالميَّةِ؛ وحياةُ تلك الآدابِ واستمرارِها مرهونٌ بمقدارِ فاعليتِها بالأَنفس، وارتباط الفنّ – وأَعني بذلك الشِّعرَ خاصَّةً – بالنَّفس ارتباطًا وثيقًا منذُ القِدَمِ لأَنَّ جوهرَ هذا الفنِّ هو التَّأثير في النَّفس الإنسانيَّةِ وهذهِ إحدى غاياتهِ، فأصبحتْ قيمةُ الفنِّ تُقاس بمقدارِ تأثيرِهِ بنفس المتلقيّ، أَمَّا أَصلُ علاقةِ الدِّراسات الأَدبيَّةِ بالنَّفس فهي قديمةٌ على الصَّعيدينِ الأَدبِ الغربيِّ والأَدبِ العربيِّ، فالأَدبُ الغربيُّ يُمكنُ القولُ إنَّ من الملامحِ الأُولى للرَّبط بينَ النَّفس الإنسانيَّة والأَدب نجدُها عندَ أَرسطو ((٣٨٤ ق.م –٣٢٢ ق.م)) إذ نجدُهُ قد أدركَ مكانةَ النَّفسِ الإنسانيَّةِ وأهمِّيَّتها عبر حديثِه في كتابه ((النَّفس)) [١]، فقد ربطَ أرسطو في تحليلاتِهِ للنِّتاج الفنِّيّ بالنَّفس الإنسانيَّة وكذلك يُعدُّ أَوَّلَ مَنْ قدَّمَ مصطلحَ **التَّطهير** بمعنى الانفعالِ الَّذي يُحرّرُ الإنسانَ مِنَ المشاعرِ الضَّارَّةِ، وذلك في كتابه ((فنّ الشِّعر)) وقد حدَّدَه غايةً للتراجيديا من حيثُ تأثيرها الطِّبِّي والتَّربويّ على الفردِ، فقد ربطَ أَرسطو بينَ التَّطهير والانفعال النَّاتج عن متابعةِ المصير المأساويّ للبطلِ، وأَعدَّ التَّطهير الَّذي ينجمُ عن مشاهدةِ العنف عمليَّةَ تنقيةٍ وتفريغٍ لشحنةِ العنفِ الموجودةِ عندَ المتفرّجِ وهو ما يحرّرُهُ من أهوائِهِ، وَمِنَ الَّذينَ يُعدُّ لهم آراء في شأنِ العلاقة بينَ الآدابِ والفنونِ والنَّفس الإنسانيَّة فقد وردتْ عند لونجنيوس وغيرِهِ ولاسيَّما الاتِّجاهات الرُّومانسيَّة مثل موليان وكولردج، بيدَ أنَّ الإشارةَ المُهمَّةَ كانتْ على يدّ النَّاقد الفرنسيّ النَّفسي سانت بوف[٢] ((١٨٠٤- ١٨٦٩)) إذ جاءَ بمصطلح **التَّقمّصِ** يتَّخذ سانت بوف المبدعَ والمؤلفَ ويتقمَّصَ شخصيتَهُ من دِراسةِ حياته والمؤثِّرات المختلفةِ فيها للوصول للنَّصّ الأَدبيّ وتفسيرِهِ وفكِّ رموزِهِ، وظيفةُ النَّقدِ عندَ سانت بوف ((هي النَّفاذ إلى ذاتِ المُؤلِّفِ لِيَسْتَشِفَّ روحَهُ من وراءِ عباراتِهِ بحيث يفهمُهُ قراءة وفي ذلك يضعُ النَّاقدُ نفسَهُ موضعَ الكاتب))[٣]، ومن ثَمَّ يأتي بعدَهُ النَّاقدُ والمُؤرِّخُ هيبوليت تين ((١٨٢٨م - ١٨٦٣م)) إذ يبني نظرياتِهِ جميعَها على مبدأينِ إذ يقول: ((إنَّ التَّأثيرَ متبادلٌ بينَ العواملِ الطَّبيعيَّة والعوامل النَّفسيَّة الَّتي تتضافرُ معًا على نموّ الجنسِ البشريِّ واطّرادِ تقدمِهِ، وَإنَّ بحوثَ العالم لابُدَّ أَنْ تؤثِّرَ في الأَدب والفنّ))[٤]، ولقد كانتِ الثَّورة الكُبرى، والتَّحوّلُ الأَهمُّ في المنهج النَّفسي جاءَتْ على يدّ العالمِ النَّمساويّ سيجموند فرويد في كتابه ((تفسير الأَحلام)) إذ قسَّمَ النَّفسَ الإنسانيَّةَ إلى ثلاثةِ أقسام الأنا، الهو، الأَنا الأَعلى، وقد سلّطَ الضَّوءَ في جملةٍ من دراساتهِ على العلاقة بين النَّفس الإنسانيَّة والنِّتاج الفنِّي كدراستِه عن دوستويفسكي روائيًّا وكاتبًا، ودافنشي في كتابهِ ((التَّحليل النَّفسي والفنّ))، ثُمَّ بعد ذلك ظهرتْ نظرياتٌ عدَّةٌ كانتِ المنطلقَ الأَساسيَّ لكثيرٍ من العلوم في مُختلف المجالات وكانَ لها الحظُّ الأَوفرُ في الدِّراسة، وصَل صداها حتَّى الوطنِ العربيّ بفضلِ الاحتكاكِ والمجاورات ومن بينِها،

نظريَّةُ التَّحليلِ النَّفسيّ لرائدها سيجموند فرويد[٥]، ثُمَّ يأتي من بعده كلٌّ من تلميذيهِ (يونغ) و (آدلر).

أمَّا في بحث علاقة الدِّراساتِ النَّفسيَّة في الأَدبِ العربيّ فهي قديمةٌ[٦] في الآدابِ الإنسانيَّةِ على وجه العمومِ، وليسَ معنى ذلك أنَّ معالمَ هذه الدِّراسةِ كانتْ تحملُ النَّظرياتِ الحديثةَ المقنَّنةَ نفسَها؛ وَإنَّما كلُّ ما في الأَمر أَنَّها جاءتْ بآراء نقديَّةٍ نابعةٍ من تأثير النِّتاج الأَدبي بالنَّفس الإنسانيَّة إلى أَنْ تقدَّمتْ هذهِ الظَّاهرةُ على يدِ بشرِ بن المُعْتمر ت((٢٢٦هـ)) وصحيفتهِ المشهورة[٧] الَّتي عبرَها أدركَ أَهميَّةَ النَّفس الإنسانيَّة وأَدراكَ فاعليتها عبر اختيار أَوقات الكتابة للأَديب.

يظهرُ أنَّ للعاملِ النِّفسيّ أَثرًا واضحًا في الشِّعر والأَدب وارتباطهما الوثيق، قالَ الفرزدق: ((قد يأتي عليَّ حينٌ وقلعُ ضرسٍ أَهونُ عندي من قولِ بيتٍ من الشِّعر))[٨] فهذا القولُ يُبيّنُ أَهميَّةَ الحالةِ النَّفسيَّة لدى الأَديبِ أو الشَّاعرِ ومدى تأثيرِها في نِتَاجِه الأدبيّ.

النَّقدُ الأَدبيُّ ـ سواء العربي أو الغربي ـ حفلَ بكثيرٍ من النَّظريات الصَّائبة فلم يحاولْ ناقدٌ قديمٌ باستثناء أَرسطو أَنْ يشرحَ تلك العلاقةَ الحيويَّةَ بينَ الفنَّانِ والفنِّ ومُتلقي الفنّ، وكانَ أَغلبُ النَّقدِ يَصِبُّ اهتمامَهُ على العمل نفسهِ، أَمَّا كيف أُنْجِزَ هذا العملُ؟، ولماذا أُنْجِزَ؟، وما دلالاتُهُ؟، فأسئلةٌ أَجوبتُها لم تُقَنَّنْ، فالنَّاقدُ لم يَكُنْ لِيُشْغِلَ نَفْسَهُ بِمَا وراءَ الواقعيَّةِ، والواقعيَّةُ هُنا العملُ الفنِّيُّ فَمَا دامَ هذا العملُ مائلًا بينَ يديه فلْيَكُنْ موضعَ النَّظرةِ النَّقديَّةِ في القديمِ، فكرةُ التَّقويمِ الجماليّ والتَّقويمِ الأَخلاقيّ من الأَشياءِ الغريبةِ الَّتي لا يُمكنُ تعليلُها كما يقولُ روباك: إنَّ عِلْمَ النَّفسِ والأَدبِ يتناولانِ موضوعاتٍ واحدةً[٩]. وأَخيرًا يمكنُ القولَ إنَّ العلاقةَ بينَ عِلْم النَّفسِ والأدبِ علاقةٌ وثيقةٌ منذُ القِدمِ؛ فالانفعالاتُ النَّفسيَّةُ ظهرتْ مع ظهور العملِ الأَدبيّ ومع ظهورِ الشَّاعرِ، فظهرتْ بعضُ الآراءِ النَّقديَّةِ القديمةِ عندَ النُّقادِ القدماءِ لها صلةٌ بعِلْمِ النَّفسِ وأَخصُّ النُّقادَ العربَ، لكنَّهم لم يُقنِّنُوا ذلكَ وَإنَّما يفسرونَ ذلكَ على أُساسٍ مِنَ المعارف النَّفسيَّةِ العامَّةِ على أَساس الذَّوق لا بطريقةٍ منهجيَّةٍ مقنَّنةٍ والَّذي يبدو أنَّ ما قدَّمَهُ سانت بوف وسيجموند فرويد هو الخطوةُ الأَهمُّ في الدِّراساتِ النَّقديَّةِ النَّفسيَّة لأنَّ النَّظرياتِ الَّتي قدَّمُوها لنا تُمكّنُنَا مِنَ القيام بدراسةٍ منهجيةٍ.

ثانيًا. مكانةُ البيئةِ الطَّبيعيَّةِ ومكوناتُها في حياةِ السَّيَّابِ.

تأتي البيئةُ أساسًا في تكوينِ الحالة الشِّعريَّة والثَّقافيَّة لدى الشَّاعر، وهي من مقوّماتِ الإبداع ، فعندَما يستلهمُ الشَّاعرُ صورَ البيئةِ الطَّبيعيَّةِ من بيئةٍ لِيرسُمَها في نتاجهِ الشِّعريّ فهو بذلك يجسّدُ مدى ما تعطيه تلك البيئةُ الطَّبيعيَّة من مشاعرٍ ومن أدواتٍ تجعلُهُ يبدعُ في قصائدِهِ بمختلفِ أَشكالِها، وقد تجسَّدتْ مجموعةٌ مِنَ العناصرِ لِتَكْوينِ البيئةِ الطَّبيعيَّةِ وَكُلُّ هذا نجدُهُ عندَ السَّيَّاب، فهو يجسّدُ ذلك في شعرِهِ، وعبرَ تفاعلهِ مع البيئة الَّتي عاش وترعرع فيها، وقد تكونُ

هنالكَ بيئاتٌ أَليفةٌ في نفس السَّيَّاب يأنسُ بها أو غير أَليفة لا يأنسُ وجودَها مثل المدينة والمستشفى بوصفهما بيئتينِ، وقد ارتبطَ اسمُ السَّيَّاب بعددٍ من الأماكن كان من أهمِّها غاباتُ النَّخيلِ ((البساتين))، وبيئة الشَّناشيل، والمطر بوصفة أَحد مكوِّنات البيئة الطَّبيعيَّة، والقبرُ الَّذي وردَ كثيرًا في شِعْر السَّيَّاب ومنزل الأقنان، والنهر ((بويب))[١٠]، وجيكور، القرية الصَّغيرة التَّابعة لمنطقة أَبي الخصيب في جنوب العراق في محافظة البصرة وسكانها قليلو العدد[١١]. وفي جيكور عاش السَّيَّاب الشاعر تجارب حياته الأُولى حيثُ كانَ إلى جانب السّكان الَّذينَ يعملونَ في فلاحةِ النَّخيل ((ومع أنَّ آلَ السَّيَّاب لم يكونوا من كبار المالكينَ فإنَّهم يتمتَّعونَ بحياة لائقةٍ بعيدةٍ عن العوز الأَمر الَّذي جعلَ شاعرَنا يحسُّ بهذا الحياة إحساسًا مباشرًا وخصوصًا أنَّ أُسرتَهُ كانتْ تعودُ في نسبها إلى قبيلة ربيعة العربيَّة))[١٢]، إذ يجعلُ هذا آل السَّيَّاب من وجهاء قرية جيكور، وقد أصبحتْ جيكور ذلك الشُّعور المضيء في حياة السَّيَّاب ونتاجه الشِّعريّ، الَّتي كانَ ينعمُ في ظلالِها بأحلى أَيَّام الطّفولة ((وإنْ كانَ القولُ إنَّ آلَ السَّيَّاب يتمتَّعون برغدٍ من العيش فإنَّ هذا لم يستمرْ طويلًا بسببِ المشكلاتِ الكثيرةِ وهذا ما أنعكسَ سلبًا على وضع بدر وإخوانه فنالَهم من تقصيرِ الرِّعايةِ ما نالَهم فلمْ يكنْ أمامَ بدرٍ إلّا أنْ يقصدَ بيت جدّتهِ الَّتي كانتْ في رغدٍ من العيش))[١٣]وأسهمتْ هذه الظّروفُ بتكوينِ شخصيةِ السَّيَّاب، ((إنَّ الشَّاعرَ يُخلصُ إخلاصًا جميلًا لمرشدتِهِ السَّامية – يعني الطَّبيعة – وبهذا يكونُ شعرُ السَّيَّابِ للطَّبيعة إنَّما هو إخلاصٌ لتلكَ الطَّبيعةِ لما تقدِّمُهُ للإنسانِ من عطاءٍ))[١٤] فإذا هو مخزنٌ للذّكريات الَّتي يطوفُ بها في عالمِهِ الدَّاخلي فتبرزُ في سلوكه وعلى لسانهِ، فإنَّ جيكور ومنزل الأَقنان والأَنهار(بويب)[١٥]والجداول والطّرقات وغابات النَّخيل[١٦] والمطر تكون دعائم خيالهِ، ولذلك نجد جيكور تُذْكَرُ في قصائد السَّيَّاب، وذلك لِمَا تحملُهُ من ذكرياتٍ جميلةٍ لبدر **((العودة إلى جيكور))**[١٧]

جيكورُ، يا جيكورُ هَلْ تَسْمَعِينْ؟
فَلتفتحِ الأَبوابِ للفاتحينْ
وَلْتجمعي أطفالَك اللَّاعبينْ
في ساحة القريةِ هذا الشِّتاءْ

كانتْ جيكور المنطلقُ الأَوَّل لحياتِهِ في بيئتهِ الطَّبيعيَّةِ، وَبِمَا أَنَّ السَّيَّابَ يعيشُ في جنوبِ العراقِ وتحديدًا في قرية جيكور وما تتمتّعُ به من أشجارٍ للنَّخيل وأصوات لخرير المياه، وبهذه البيئاتِ المُتنوّعةِ صقلَ موهبتَهُ الشِّعريَّةَ حتَّى استطاعَ أنْ يفرضَ وجودَهُ وسطَ الحياة الأَدبيَّة في بغدادَ بعدَ أنْ انتزعَ مكانةَ تقديرِ الجميعِ وإعجابهم.

المبحثُ الأَوَّلُ

أَثرُ البيئةِ الإِليفةِ.

هي مجموعةٌ من العناصر الَّتي تجسَّدتْ في الطَّبيعة وكانَ لها أثرٌ إيجابيٌّ في نفسيَّةِ السَّيَّاب، فكان يأنسُ بوجودِ هذهِ الأماكن الطَّبيعيّة الَّتي أثَّرتْ في نتاجهِ الشِّعريِّ، ومِنْ أَهمِّ هذهِ الأماكنِ.

اولاً. بيئةُ غابات النَّخيل ((البساتين)).

تُعَدُّ البيئة الطبيعيّة من العوامل المحيطة المهمة الَّتي تؤثر بالفنان بشكل أو بأخر في تعزيز مدركاته الحسية فالطبيعة تمثل مصدراً ملهماً لكثيرٍ من الأعمال الفنية، وقد امتزجت حياة السَّيَّاب بالطبيعة الريفية فما فيها من نخيلٍ وبساتين ، أصبح الانتماء إلى الذَّات يقودُ السَّيَّاب إلى الطَّبيعة ومِنْ ثَمَّ الفنّ، إنَّهُ انتماءٌ للمكان الَّذي يشملُ هذا كُله مرجعًا للإبداع، فكانَ أثره واضحًا في شعر السَّيَّاب ولاسيَّما صورُ غاباتِ النَّخيلِ وما تحملهُ البساتين من أزهارٍ ونخيلٍ فتكادُ لا تخلو قصائدُ السَّيَّابِ من وجودِ النَّخلة وكأنَّ إطارَ القصائدِ لا يكتملُ إلَّا بوجودُ النَّخلةِ فيها ففي قصيدة **((أُنشودة المطر))**[١٨] يفتتحُها السَّيَّابُ بقولهِ:

عيناكِ غابَتا نَخيلٍ سَاعةَ السَّحرْ
أَوْ شُرفتانِ راحَ يَنْأَى عَنْهُما القمرْ
وترقصُ الأَضواءُ، كالأَقمارِ في النَّهرْ
ودغدغتْ صمتَ العصافيرِ على الشَّجرْ
أُنشودةُ المطر

فالشَّاعر في الأَبيات يخاطب شخصًا غيرَ معروفٍ قد يكونُ العراق أو القرية أو حبيبته أو أُمِّهِ، وتشبيه عينيهِ بغابات النَّخيل ساعة السَّحر، فاستعمالُ السَّيَّاب لمفردة النَّخيل؛ أَوَّلًا لأنَّ السَّيَّاب ابنُ البيئة الرّيفيَّة الطَّبيعيَّة، وثانيًا إنَّ النَّخيلَ هو من أَبرزِ ملامح البيئة الَّتي كانَ السَّيَّابُ يسكنُ فيها، فيرسمُ لنا صورةَ اللَّيل الهادئ والمكان((الأَرض)) بحقله ونخلهِ وليله، فكلُّ هذه الأشياء تمثِّلُ ماضيًا له خصوصيَّةٌ نفسيَّةٌ وحاضرًا مغتربًا وذكرياتٍ قديمةً قد عاشها السَّيَّاب، ففي الأَبيات السابقة ((غابة نخيل، ساعة سحر، شرفتانِ)) مفرداتٌ تمثِّلُ سعةً مكانيَّةً زمانيَّةً في أَبعادها الأرض والمياه، فالسَّيَّاب عاش بحلم، إن السَّيَّاب طوال حياته يتمنَّى تحقيق أمنيةٍ عزيزةٍ عليه هي أنْ يكونَ له بيتٌ تظلُّهُ أشجارُ النَّخيلِ في جيكور وتوزع فيه الحبيبةُ الدّفيءَ والحبَّ.[١٩] فإنَّ استذكارَ السَّيَّابِ لهذه الصّورِ السَّابقة ومنها غاباتُ النَّخيل يبعثُ الهدوءَ ((الاطمئنان Contentement))[٢٠] في نفسهِ؛ ليخفِّفَ من وطأةِ مصاعبِ حياتهِ النَّفسيَّة والمرضيَّة، فصورة الذِّكرياتِ وغابات النَّخيل ما هي إلَّا تنفيسٌ عن نفسه

((تصريف الانفعال Décharge de l'émotion))[٢١]، إنَّ رسم السَّيَّاب صورة لبساتين النَّخيل نهارًا بعدَ طلوع الشَّمس أو قُبيلَ غروبِها منظرٌ لا يستطيعُ وصفَهُ بشكلٍ دقيقٍ إلَّا فنانٌ ذابَ قلبُهُ في الطَّبيعة وتعايشَ معها، وصنعَ في ذَوبان قلبِهِ لوحةً فريدةً تأسرُ الأَبصارَ ((إنَّ تشكيلَ الشَّاعر للصّورة مبنيٌّ على أَخذ عيّناتٍ موجودةٍ في المكان وإنَّه يصنعُ صورةً ذاتَ نسقٍ خاصٍ للمكان وإنْ لم يكنْ لهُ مِنْ قبلُ ... وبهذا ينبغي أنْ ننظرَ إلى الصُّورةِ الشِّعريَّةِ لا على إنَّها تُمثِّلُ المقيّس بل المكانُ النَّفسيُّ))[٢٢] وبهذا يكونُ لغاباتِ النَّخيل أَثرٌ نفسيٌّ في شاعريَّة السَّيَّاب، فهي هاجسٌ عالقٌ في ذاكرتِه بسببِ ما تحملُهُ من ذكرياتٍ قديمةٍ، إذ كانتْ قريةُ جيكور الَّتي أبصرَ النَّورَ فيها ليستْ إلَّا غاباتٍ من النَّخيل فيها بقايا لصورٍ رسختْ في نفسهِ وذاكرتِه، وفي قصيدة أُخرى تظهرُ أهميَّةُ البيئةِ الأَليفةِ وما فيها من نخيلٍ في عددٍ من القصائد، إذ يقولُ في قصيدةِ **((تنهدات))**[٢٣]

سعفُ النَّخيلِ على الممرِّ تهدلُ وأَحجبْ بظلِّك ما يراهُ المجتلى
من كنتُ أَحذرُ أنْ تحجبَ طيفَها عن ناظري نزلت بأبعدِ منزلِ
سيَّانِ عندي اليومَ القفرُ موحـــشٌ وظلال روضٍ مستطابُ المنهل
...
سعفَ النَّخيلِ: سواك خانَ مودَّتي وبقيتَ تحفظُها لِمَنْ لا ينسلي
تمضي الحبيبةُ والزَّمانُ كلاهما وأَظلُّ أَندبُها وتصغي أنت لي

((فهنا نجدُ المكانَ وما فيه من نخيلٍ يقفُ موقفَ الصَّديقِ مع السَّيَّاب وذلك إنَّ الزَّمانَ يخذلُهُ ويعاديهُ معاداةَ الحبيبة))[٢٤] ويبدو لي أَنَّ المكانَ وما فيه من نخيلٍ يقفُ مع الشَّاعر في معاناتِهِ خلاف موقفِ الحبيبةِ والزَّمان، فهما يقفانِ موقفَ الضِّدِ مع الشَّاعر، فالحبيبةُ لم تبادلْهُ الحنانَ والعاطفةَ الَّتي أفتقدها، وعلى خلاف ذلك نجدُ النَّخيلَ يمدُّهُ بالظِّلِ والعطاءِ فكأنَّ السَّيَّاب اتَّجهَ للنَّخلة؛ بوصفِها معادلًا موضوعيًّا عمَّا افتقدهُ من أَخذٍ وعطاءٍ، إنَّ الاغترابَ النَّفسيَّ الَّذي عاشَهُ السَّيَّاب كانَ أَساسًا في شحذِ قريحتهِ الشِّعريَّةِ عبرَ البيئة الطَّبيعيَّة وتعلّقُهُ بها والاستنجاد بها، فالحنينُ يأخذُهُ إلى غاباتِ النَّخيل، وهذا ما يُسمَّى بعلم النَّفس ((استثارة الماضي Dernière excitabilité))[٢٥]، هذه الاستثارة تهدفُ إلى إخفاء المصاعب النَّفسيَّة والعاطفة الَّتي يعاني منها السَّيَّابُ، إذ يريدُ السَّيرَ بخيالهِ عبرَ ((التَّجسيدIncarnations))[٢٦]، بعيدًا عن مجتمعٍ لا يفهمُهُ كُلَّ الفهمِ ولا يعطيّهُ ما أفتقدُهُ من عاطفةٍ وحنانٍ ((إنَّ السَّيَّاب عاشَ طوالَ حياتِهِ يحلمُ بالطفولةِ والعودةِ إلى الأُمِّ ويرى في ذلك التَّمويّه تعويضًا عن قسوةِ الحاضر))[٢٧] ولذلك نجدُهُ في قصائدهِ يستنجدُ بالطَّبيعة وغاباتِها[٢٨]، فسيَّانِ عندهُ الموتُ والحياةُ شرط أنْ يبقى في ريف القرية قريبًا من مرتع الطفولة الَّذي شَهِدَ لعبهُ في الماء قربَ غاباتِ النَّخيل.

ويمكنُ القولُ أَيضًا إضافةً إنَّ اختيارَ السَّيَّاب لمفردةِ النَّخيلِ في شعرهِ ووردها في غير موضعٍ؛ نتيجةً لِما ينمازُ به ذلك النَّخيلُ من قدرةٍ على تحمُّلٍ للظروف الصّعبة ((البيئة ومتغيراتها)) فعلى الرَّغم من هذه الظّروف فهو في عطاءٍ دائمٍ للإنسان، وكذلك السَّيَّاب فهو على رغم معاناتهِ من الاغتراب النَّفسي، والمرض الَّذي أنهك جسمَهُ والألم الَّذي يعيشُ فيه فهو ذو عطاءٍ مستمر.

ثانيًا. البيئةُ النَّهريَّة((بويب)).

تُمثِّلُ البيئةُ النَّهريَّةُ رافدًا مهمًّا من روافدِ الطَّبيعة الَّتي كانَ لها الأثرُ الواضحُ في تجربة السَّيَّاب النَّفسيّة والشِّعريّة، فيعدُّ النَّهر بويب مكانًا أليفًا للسَّيّاب، وله أثرٌ وأضحٌ في شعرهِ، كانَ عالم الطفل ـ السَّيَّاب ـ الصَّغير يومئذٍ هو تلك الملاعب الَّتي تمتدُّ بينَ أحياء جيكور ومزارع بويب.[٢٩] وعندَما كانَ السَّيَّابُ صغيرًا يلعبُ قربَ ذلك النَّهر الصَّغير ويجمعُ المحارَ منه، لذلك نرى لبويّب مكانةً لامعةً في شعر السَّيَّاب الَّذي جعلَ منه أُسطورةً في قصائدهِ إذ يقول في قصيدة ((**النَّهر والموت**))[٣٠]

أَودُّ لو أَخوضُ فيك، اتَّبعُ القمرْ
وأَسمعُ الحصى يَصلُّ منكَ في القرارة
صليلُ آلاف العصافيرِ على الشَّجرْ
...
أَودُّ لو غرقتُ فيك، اَلقطُ المحار
أشيدُ منه دار
يضيءُ فيه خُضرة المياه والشَّجر

ما يميّزُ هذه الصّورُ أنَّ السَّيَّابَ يلتقي فيها بالنَّهر وتشفُّ عن اتِّحادهِ به، خوضُهُ فيه وسماعُهُ صليلُ الحصى في القرارةِ، ثُمَّ تمنيَّهُ الغرق فيه؛ ليلتقطَ المحارَ ويبني منه دارًا تعكسُ خُضْرة الطَّبيعة ولألأة ضوء القمر، ((إنَّ عنايّة الشاعر بمحور الطفولة هي جزء من حنينه إلى حضن القرية حيث الخير والحرية والاتِّحاد والحنين إلى الماضي))[٣١]، فكلُّ هذه الصّور النَّفسيَّة ((أَودُّ لو أخوضُ فيك، اللقط المحار اشيد منه دار))هي مفردات أخذتْ نفسيَّة السَّيَّاب لذكريات الطّفولة وما تمثِّلُ لَهُ هذهِ الذِّكريات من أَيَّام جميلة قضاها السَّيَّاب في ضفاف ذلك النهر ((ما يحدث لنا من أحداث وما نمر من خبرات يؤثِّرُ فينا، في مرحلة الكبر فخبرات الطّفولة وتجاربها تترك بصمتها قوية في مرحلة الرشد لأن حياة الإنسان سلسلة متصلة الحلقات، يؤثر فيها السابق بالأحق والحاضر بالمستقبل))[٣٢].وكما معلوم إنّ قصيدة((النَّهر والموت)))قد كُتبت سنة (١٩٥٧)[٣٣]. فإنَّ هذا يكشفُ لنا حالةَ النّكوص إلى عالَمِ الطّفولة عن طريق استثارة الماضي Dernière excitabilité، ((إنّ رغبةَ الفنَّان الهروب من الواقع هي الَّتي تدفعُهُ إلى الإبداع الفنّي حيثُ أنَّ الخيالَ عنصرٌ لازمٌ في الإبداع الفنِّي))[٣٤] وهذا الهروبُ جعلَ من السَّيَّاب ذا

تجربةٍ نفسيَّةٍ وشعريَّةٍ مبدعةٍ ((إنَّ عنايةَ الشَّاعرِ بمحورِ الطّفولة هي جزءٌ من حنينه إلى حضنِ القريةِ حيثُ الخير والحريَّة والاتّحاد والحنين إلى الماضي))[٣٥]، الواقع النَّفسي المرير الَّذي يعيشهُ السَّيَّابُ على الأَصعدةِ كافةً سببُهُ خيباتُ الحُبِّ والعاطفةِ فهو الَّذي يعترفُ: ((مرَّتِ السنونَ وأنا أهذي إلى الحبِّ ولكنّي لم أنلْ منه شيئًا ولم أَعرفْهُ))[٣٦]، وكذلك موتُ أُمِّهِ الَّتي لم يرَاها، هذانِ السَّببانِ مهَّدا لهروبِهِ من الواقع المرير والخوض في خياله القديم وسبب هذا الهروب؛ هو الصّراع النفسي الذي يخوضُهُ؛ ولذلك نجدهُ يندفعُ إلى التَّخلُّصِ من الواقع باستذكار صور بويّب؛ إذ تُمثِّلُ له هذه الصورُ أيَّامِ الطّفولةِ الماضية الَّتي قضاها قربَ نهر بويب، فتكشفُ رغبةَ السَّيَّاب بالعودة إلى الفطرة الاولى والنَّقاء والكمال والمثاليَّة الَّتي كانَ يسعى السَّيَّاب إليها، وكأنَّهُ لا يستطيع أنْ يمحيَ صورَ الماضي، فلا يشعرُ بالحاضر متمسكٌ باستثارة الماضي Dernière excitabilité: انبثاق ذكريات قديمة مُعاشة كما لو كانت حالية[٣٧].وهذه العودةُ تُسهمُ في صنعِ حياةٍ نفسيَّةٍ وشاعريَّةٍ خاصةٍ به، والملاحظ استعمال الفعل((أَودُّ)) إذ يبيّن لنا الحالة النفسيّة للسيّاب وتمني العودة إلى الماضي لما فيه من ذكريات وهروبهُ من الواقع المرير الذي هو فيه، وقوله((اشيدُّ منه دار))جاء السَّيَّاب بهذهِ الصور النفسيّة؛ للبحث عن الاستكانة النفسية والاستقرار و((الاطمئنان النفسيContentement))[٣٨] ظلَّ السَّيَّاب محتاجاً إليه، والملاحظ عليه ممَّا سبق وعلى أماكنٍ تخصُّ البيئة الأَليفة نجدهُ مُفرِّغًا عَمّا في نفسهِ من كبتٍ في مرحلة ((اللَّاشعور Subconscient))[٣٩] تحدثُ معه، وهذا تجسيدٌ لمفهوم، التَّطهير Catharsis[٤٠]. وهذه الأحداث ليستْ أكثرَ من ذكريات مقيمةٍ في نفسهِ ومَنْ يمنحه ما تطمأنُّ إليه نفسُهُ؟، ونجدُهُ يجعلُ من بويّب نهرَ السَّعادةِ الماضية والطّفولة المفقودة والذكريات الحلوة، فهو يشتاقُ إليه كشوقِ العاشقِ إلى معشوقتهِ، فنجدُهُ يقول في قصيدة**((يا نهر))**[٤١]

يا نهرُ عادَ إليكَ بعدَ شتائِهِ صبٌّ يفيضُ الشَّوقُ من زفراتهِ
حيرانُ يرمقُ ضفتيكَ بلوعةٍ فيكادُ يصرعَ شوق عبراتهِ
كم رافقتك فآنستْك خطاهُ في غدواته لِلْحُبِّ أو روحاتهِ
أ فأنتَ تذكرُ وتحفظُ عهدَهُ؟ أَم قد نسيتَ عهودَهُ وسماتِهِ

إلى أنْ يقولَ:

يا ساقيَّ الشَّجرات ما لكَ لا ترى إلَّا كئيبًا لجَّ في حسراتهِ

فبعدَ معاناةٍ نفسيَّةٍ يخوضُها السَّيَّابُ مع ذاتهِ **المكبوتة** Écraser[٤٢]، فهو يحاولُ أنْ يُزيلَ تلك المعاناة المكبوتة في نفسه من خلال شكواهُ مع بويب؛ هذا دليلٌ على عمقِ الغُربة النفسية الَّتي يعيشُها السَّيَّاب ممَّا يجعلُهُ يتَّجهُ للطَّبيعة؛ لِيُفرّغَ عَمَّا في نفسهِ مِن كبتٍ ويسبغُهُ عليها، وعلى هذا الأَساس يمكنُ القولَ بأنَّ أبرزَ شيء يشتاقُ إليه السَّيَّاب في تلكَ البيئة الطَّبيعيّة الرّيفيّة هو النَّهرُ بويب؛ إذ يُمثِلُ له ذكرياتِ الطفولةِ وصباهُ والشَّوق والحنين ممَّا يجعلُ من السَّيَّاب

يخلِّدُهُ في شعرهِ؛ لِيُخفِّفَ مِن وطأةِ الحياة وآلمها عليه في الحاضر باسترجاع صور الماضي على الرَّغم من أنَّ صورَ الماضي فيها نكباتٌ للسيّابِ، لكنَّ تلكَ النَّكبات أهون بكثيرٍ ممّاَ مرَّ به السَّيَّابُ في مرحلة المرض والغربة وفقدان الأُمِّ والجدة والأَصدقاء، بويب مازالَ يجري بالماء والحياة ولكنْ بلا قصائد...

ثالثاً. بيئة الشناشيل.

من الأماكن التي كان لها اثرٌ واضحٌ في نفسيّة وشاعريَّة السَّيَّاب منزل ابنة الجلبي ((الشَّناشيل))[٤٣]بوصفة أَحد مكونات البيئة التي ترعرع السَّيَّاب فيها حتى أصبح ذلك المكان اسماً لمجموعة السَّيَّاب الشعرية ((شناشيل ابنة الجلبي))[٤٤]. وبعد أنْ أنهى السَّيَّاب الصَّفَّ الرَّابعَ بنجاحٍ انتقلَ إلى مدرسة المحموديَّة الابتدائيَّة للبنينَ في أبي الخصيب...وكان قرب تلك المدرسة دور تملُكها أُسرة الجلبيّ...إذ كانَ السَّيَّاب يُحبُّ أنْ يدعوهُ المدير إلى المدرسة؛ لأن ذلك المكتب يطلُّ على إحدى بيوت الجلبيّ الَّتي تحتوي على شُرفة مزخرفة تطلُّ على المدرسة وَتُدعى((شناشيل))، فقد رأى بدرٌ وجهَ ابنةِ الجلبيّ مِنْ وراءِ تلكَ الشَّناشيل فأثارتْ به شعور البذخ والسّحر[٤٥]. وظلَّتْ تعيشُ ابنةُ الجلبيّ وشباكُها المزخرفُ في ذاكرةِ السَّيَّاب لمدَّةٍ طويلةٍ مِنَ الزَّمنِ حلمًا لم يتحقَّقْ((تذكرَها وهو يستشفي بلندن سنة ١٩٦٣))[٤٦] بقصيدةٍ كانَ يردّدُها الأَولادُ وهم يحتفونَ بأَيَّام المطرِ: ((أُنشودة المطر))[٤٧]

يا مطرًا يا حلبي

عبّرْ بناتَ الجلبي

يا مطرًا يا شاشا

عبّرْ بناتَ الباشا

ويبدو أنَّ استذكارَ السَّيَّابِ لابنة الجلبيّ ولشباكها المزخرف وهو في حالة المرض؛ ما هو إلَّا استذكارٌ لأَيَّام الحُبِّ والعاطفةِ الَّتي أفتقدها السَّيَّاب في المستشفى فأرادَ باستثارة الماضي أنْ يخفِّفَ من وطأة الغُربة ومن آلم المرض بذلك الماضي الجميل، وفي قصيدة أخرى نجد في نص السَّيَّاب لوناً آخر من الحنين: **((شناشيل ابنة الجلبي))**[٤٨]

وأرعدتِ السَّماءُ، فطارَ منها ثُمّة انفجرا

شناشيل ابنة الجلبي...

ثُمَّ تلوحُ في الأفق

ذُرى قوس السَّحاب وحيثُ كانَ يُسارقُ النَّظرا

شناشيل الجميلةُ لا تصيبُ العينينِ إلَّا حمرة الشَّفق

إذ كانَ منزلُ ابنة الجلبي ملهماً لشاعرية السَّيَّاب ونفسيته وكيف لا يكون ملهماً ؟، وهو يستذكرهُ بعد حينٍ من العمر وهو في اسوء حالاتهِ النفسية والمرضية ، إذ تمثل ابنة الجلبي

وشباكها المزخرف الحّب الأَوَّل الَّذي عاشهُ فَرَسخَ ذلك الحُبُّ في نفسيتِهِ، ويُجسِّدُ هذا الحبَّ وذكرياتَهُ بعددٍ من القصائدِ[٤٩] ((فالسَّيَّاب يستعيد طفولتهِ في جيكور وفي انتظار مطر السماء أمام شرفة ابنة الجلبي))[٥٠] ويأتي استذكار السَّيَّاب هذه الصورة مع العلم انهُ في مرحلة نفسيّة ومرضيّة مأزومة و شناشيل ابنة الجلبي مضى على حبّها زمنًا طويلًا، إذ انقضت ثلاثونَ سنةً[٥١]. ويبدو لي أَنَّ السَّيَّاب كانَ ذكيًا جدًّا من استثارتهِ للماضي؛ وذلكَ إِنَّهُ فقدَ حنان مَنْ يقفُ معهُ في المستشفى وحالتهِ المرضيَّة المأزومة فَعَمِلَ من خلال الماضي ((انزياحاً Previa))[٥٢] لما يمرُّ بهِ بالمستشفى وبهذه الحال يخلقُ علاجًا نفسيًّا لهُ ((علاج معنوي Traitement moral))[٥٣]، ونجدُ في القصيدة نفسِها تحولًا نوعيًّا: **((شناشيل ابنة الجلبي))**[٥٤]

توهَّجَ في فؤادي
غير أَنَّي كُلَّما صفقت يدا الرَّعد
مددتُ الطرفَ أَراقبُ: ربمَا أئتلق الشَّناشيل
فأبصرتُ ابنةَ الجلبي مقبلةً إِلى وعدي
ولم أَرَها هواءُ كُلّ أشواقي، أَباطيل
ونبتٌ دونما ثمرٌ ولا وردٌ

((أحسَّ الشَّاعرُ بالابتعاد عن صورة تلك الحياة النَّابضة منذُ ما يقارب من الثَّلاثين عامًا ويبدو لنا نوعًا من الآمل الخافتِ يحسُّ به الشَّاعر كُلّما صفقت يد الرعد))[٥٥] ويبدو لي أنَّ السَّيَّاب قد أحسَّ بالمفارقة إذ إنَّ ابنة الجلبيّ من الطبقة العالية ((الاقطاعيَّة)) وهو فلّاحٌ ابن الطبقة الفقيرة البسيطة الكادحة، إنَّ النَّفسَ البشريَّةَ تخفي في أَعماقِها ضربًا من مذاق التَّعاسة[٥٦]. فقد عانى أَمام ذلك المكان ((شناشيل)) الَّذي كانَ يُمثِّلُ له الحُبّ الأَوَّل فوجود المفارقة السَّابقة جعلتْ من السَّيَّاب يحسُّ بفقدانِ الآمل في هذا الحُب الَّذي تجسَّدَ في ذلك المكان وما شوقُهُ إِلَّا ضربٌ من الخيالِ والوهم.

المبحث الثاني

***أَثرُ البيئةِ غير الأَليفة**

قبل الدخول في أثر وصور البيئة غير الأليفة لا بُدَّ مِن تعريفٍ موجزٍ بتلكَ البيئةِ: هي مجموعةٌ من العناصر الَّتي تجسَّدتْ في البيئة الطَّبيعيَّة الَّتي ترعرعَ فيها السَّيَّابُ وكانَ لها اثرٌ سلبيٌّ على نفسيتهِ سواءً أَ كانتْ تلك الأَماكن في مرحلة الاستقرار أَمْ في مرحلة ننقّلِهِ لابُدَّ مِنْ أَنْ أُضيفَ إِلى ما سبق، إنَّ الأَثرَ السَّلبيَّ هو في نفسيّتِهِ فقط أمَّا هذه السَّلبيَّة فهي رُبَّ ضارةٍ نافعةٌ فهذه الأماكن على الرَّغم من سلبيتها فهي جعلت من شاعريَّة السَّيَّاب تزدادُ وتنضجُ شيئًا فشيئًا.

أَوَّلًا. القبرُ بوصفهِ بيئةً.

إن من الأماكن غير الاليفة لنفسية وشاعرية السَّيَّاب فالقبر بوصفهِ أحد عناصر البيئة الطبيعيّة ، فمفردة القبر كثيراً ما ترد في شعر السَّيَّاب، وأصبح القبر رمزاً للشؤم((حيث أصابهُ اول شدخ من الشدوخ النفسية ... فقد غابت عنه والدته غياباً نهائياً برحيلِها...فخلفتهُ طفلاً يتيماً))[٥٧] وبذلك نجد السَّيَّاب كثيراً يفتقد امه ويشتاق اليها ويسأل عنها إذ يقول في قصيدة((أُنشودة المطر))[٥٨]

قالوا له: بعدَ غدٍ تعود
لا بُدَّ أَنْ تعود
وإنْ تهامسَ الرِّفاقُ أَنَّها هناك
في جانب التَّلِّ تنامُ نومةَ اللّحود
وتسفُّ من ترابها وتشربُ المطرْ

فكان السَّيَّاب كثير السؤال عن أُمِّهِ((وحين كان يلح في سؤالهِ كان ذووهُ و اقرباؤهُ يحاولون لتخفيف عنهُ من دون ان يذكر لهُ إنها قد رحلت بغير رجاء ان تعود))[٥٩]وكان السَّيَّاب ينتظر عودة أمه التي وقف القبر حاجزاً بينهُ وبينها ، ومن ثم ان فقدان جدتهِ له اثر واضح في نفسية السَّيَّاب ((وأما موت جدته فقد جعلهُ وحيداً مستوحشاً فهي الصدر الذي احتضنهُ بعد رحيل امه، فقد بغيابها أخر معين له))[٦٠] فالسَّيَّاب يقول مناشداً القبر الذي حرمهُ من حنان جدتهِ، إذ يقول في قصيدة **((رثاء جدتي))**[٦١]

أيُّها القبرُ كُنْ عليها رحيمًا مثلما ربَّتِ اليتامى بلين

وبهذه الكلمات فإن القبر قد حرم السَّيَّاب من عاطفة الام وعاطفة الجدة؛ فهو قطع صلة الوصال بينهما فمناشدة السَّيَّاب للقبر ما هي إلَّا((غريزة نفسية))[٦٢] بدائية فطرة نفسيَّة عند السَّيَّاب فالقبر هو الحاجز الذي يقف أمام السَّيَّاب لذلك نجدهُ يخاطب امهُ قائلاً في قصيدة**((الباب تقرعُهُ الرِّياح))**[٦٣]

أُمَّاهُ لَيْتَكِ تَرْجِعِينْ
أُمَّاهُ، ليتكِ لم تغيبي خلفَ سورٍ من حِجارْ
لا بابَ فيهِ لكي أَدقَّ ولا نوافذَ في الجدارْ
كيفَ انطلقتِ على طريقٍ لا يعودُ السَّائرونْ
من ظُلْمَةٍ صفراءَ فيهِ كَأَنَّها غسقُ البِحارْ

وكذلك نجد في قصيدة يخاطب جدته بعد وفاتها ويشكو إليها حالَهُ وما عاناه **((رثاء جدتي))**[٦٤]

جدتي من أبثُّ بعدكِ شكواي طواني الأَسى وقلَّ المعين
أَنتِ يا من فتحتِ قلبَكِ بالأَمس لِحبِّي أَوصدت قبرَكِ دوني

فالسَّيَّاب يرى أن جدتهِ الَّتي فتحتْ قلبَها بالأَمس لهُ، توصدُ باب قبرها دونهُ اليوم فأصبحتْ عنَه صورتانِ ضدّ انفتاح قلب جدتهِ وانغلاق القبر، وهذا له أَثرٌ في نفسيتِهِ ويبدو أَنَّ القبرَ يعني في ذاتِه الحاجزُ الَّذي يمنعُهُ ممَّا يبتغي ويُريدُ ويأملُ، مَنَعَهُ عنه أُمِّهِ وعطفِها وجدتهِ وعطفها، ومن خلال النّصوصِ الشِّعريَّةِ يتَّضحُ، أنَّ القبرَ يعني بغداد غيرَ قادرةٍ على تغيير الواقع إلى الأفضل، الثَّورة الَّتي طالما حلمَ بها فقد كانتْ غيرَ مكتملةٍ؛ لأنَّها لم تكُنْ كما يتمنَّاها وبَقِيَ على ضفافها بعيدًا من الرُّؤى الَّتي كانَ يحلمُ بها[٦٥]. وأَمَّا إنَّهُ لم يصرحْ بذلك؛ نتيجةَ سيطرةِ سلطة الأَنا العُليا عليه لذلك أَصبحتْ بغدادُ قبرًا لهُ؛ لأنَّها لم تحقِّقِ التَّغييرَ والعدالةَ الَّتي كانَ يبتغيها.

ثانيًا. بيئةُ المدينةِ.

نذكر المدينة بوصفها بيئة طبيعية تنقل السَّيَّاب فيها إذ تُعَدُّ من الأماكن غير الأَليفة على نفس السَّيَّاب، والمدينة وما لها من أثار سلبية على نفس السَّيَّاب ((فالشَّاعرُ يتبنَّى فكرة التَّعارُض والتَّضادّ بين عالم المدينة وعالم الرّيف))[٦٦]ونجدُ ذلك التَّعارُض والتَّضادّ الَّذي يجسّدُ لنا أنَّ المدينةَ مكانٌ غيرُ أليفٍ لنفس السَّيَّاب إذ يقولُ في قصيدة **((جيكور وأشجار المدينة))**[٦٧]

أَشجارُها دائمةُ الخُضْرة

كأنَّها أعمدة من رِخامْ

لا عُريَّ يعروها ولا صُفْرة

وليلُها لا ينامْ

يطلعُ مِنْ أَقداحِه فجرهِ

لكنَّ في جيكور للصَّيف ألوانُه كما للَّسماء

وتغرب الشَّمس كأنَّما السَّماء

حقلٌ يمصُّ الماء

يصور السَّيَّاب أشجار المدينة كأنها اعمدة من رخام فلا تسقط أَوراقها ولا تخضرُّ وكأَنَّ الشَّاعرَ هنا يصرُّ على الحُزن النَّفسيّ والكآبة أمَّا ليلُ المدينةُ فهو ساهرٌ أَبدًا لا يغفو ولا ينام في حين تنعمُ جيكور بألوان الصَّيف والشَّتاء وتغيّر الفصول لأَنَّ الطّبيعة لا تعرفُها المدينةُ[٦٨].فالسَّيَّاب هنا يفضِّلُ الرّيفَ ((جيكور)) على المدينة، ونقصدُ بالمدينة في شعر السَّيَّاب هو كُلُّ مكانٍ خارج حدود جيكور وأسوارها، وأنَّ نفس السَّيَّاب في جيكور تلقى الرَّاحة والاطمئنان ((وبالعودة التي رسمها للمدينة ولشخوصها ، فترى أنَّ ذلك قد فرضت عليه في خلق أساطير خاصة بالمدينة على غرار الأساطير الَّتي خلقها الشَّاعر في القرية، هو الذي جعل ((جيكور))مدلولاً للمدينة الحلم التي يبحث عنها الشاعر))[٦٩] إنّ السَّيَّاب قد أمدَّ بصرهُ إلى الماضي؛ ليبحث عن المدينة الحلم الَّتي طالما حلم بها وهي جيكور، فجيكور تعني كُلّ شيء فهي أُمُّهُ وذكرياتُ الطفولةِ، وهي صورة للنَّقاءِ والفطرة، إنَّ نفورَ السَّيَّاب من المدينة؛ كانَ لهُ

أَسبابٌ نفسيَّةٌ ويبدو لي من أَهمِّها فشلُهُ في حبِّهِ لِكُلِّ مَنْ ((ذات المنديل الأَحمر))، ((الأُقحوانة)) فالسَّيَّاب لم يصرحْ بأنَّه هربَ من بغداد لأنَّه فشل بعلاقاتهِ العاطفيَّة وأنَّ الحبيباتِ اللَّواتي أحبهنَّ لم يبادلْنَهُ الحبَّ، هربَ من بغداد خفيةً دونَ أنْ يعلمَ بسفره أحدٌ من أَصدقائهِ[٧٠].فهروب السَّيَّاب من المدينةِ قاصدًا الرِّيف؛ ما هو إِلَّا فكرةٌ ارتداديَّةٌ تحكمُها متطلباتٌ عاطفيَّةٌ((الفكر الواهم La pensée illusoire))[٧١] وكذلك نلحظُ بعض الأَسباب النَّفسيَّة الأُخرى، المدينةُ رمزٌ للصِّراع بينَ مخالب الآدميَّة لأَنَّ صوت الروح لم يعدْ يسمعُ في أرجائِها بينَما قريتهُ جيكور هي رمزٌ للطهارة والنَّقاء لأنَّها متمسكةٌ بالقيمِ والمُثل النبيلة[٧٢].ومن الأَسباب النَّفسيَّة الَّتي حملتِ السَّيَّاب على النِّفور من المدينة وأصبحتْ في نفسيته مكانًا غير أليف هو ما يتعلق بـ ((الأنا Ego))[٧٣]وشخصية السَّيَّاب التي تهدف للحرية والتمتع والحيوية والمساواة والنشاط ، و بينما فكل هذه الأشياء أفتقدها السَّيَّاب في المدينة، بينما يعيش مع الرجاء وفراغ البال في جيكور وهذا لا يجدهُ السَّيَّاب في المدينة؛ لأنَّه قرويُّ المولدِ والنَّشأةِ ومن أَسباب ميوله لجيكور من دون المدينة أَسباب نفسيَّة تتعلَّقُ بالطفولة وما فيها من أماكن محبَّبة لنفسيتهِ منها النَّهر بويب ومنزل الأَقنان وغيرها من الأَشياء الَّتي تجسَّدَتْ في ريف القرية، وهناك ثمَّةَ سببٌ نفسيٌّ آخرُ لرفضه المدينة وتعلّقهِ بالرِّيف ((حين يتسلَّلُ المرض إِلى جسدهِ الضَّعيف يزدادُ حنينُهُ إِلى جيكور وإِلى أَفيائها حيثُ يقعُ قبر أُمِّهِ))[٧٤]فهو يحسُّ بالأَمان والاطمئنان والسَّكينة في جيكور خلاف ما نجدُهُ في المدينة: **((جيكور وأشجار المدينة))**[٧٥]

ليلُها لا ينام

يطلعُ مِنْ أَقداحهِ فجرهُ

حيثُ ليلُ المدينةِ لا ينامُ، سهرٌ وهذا السَّهرُ مقترنٌ بالحزن لأَنَّ السَّهر مرتبطٌ بالحزن وعدم الشعور بالرَّاحة، وفي قصيدة أُخرى ((جيكور والمدينة)) يبين لنا ضعفهُ على مواجهة المدينة والرحيل إِلى جيكور ولكن هذا الرحيل يصطدم بالمدينة التي يجعلها سور وبوابة بوجه عودتِه لجيكور إذ يقول : ((جيكور والمدينة))[٧٦]

وجيكور من دونِها قامَ سورٌ

وبوابةٌ

واحتوتها سكينةْ

فمَنْ يخرقُ السُّور مَنْ يفتحُ البابَ يدمي على كُلِّ قفلٍ يمينه

ويمناي لا مخلب للصِّراع فأسعى بها في دروب المدينة

ولا قبضة ولا تبعث الحياة من الطّين

لكنَّها محضُ طينةْ

تُظهرُ الأَبياتُ صراعَهُ النَّفسيَّ والوجوديَّ مع المكان(بغداد)؛ لأنَّهُ عانى فيها السَّيَّاب خيباتِ الآملِ مِنْ محبوباته وإحساسِهِ باليأس والعجز عن مواجهةِ الحياةِ ومحاولةِ العودة إلى البساطة والنَّقاء خلاف ما وجدهُ في بغدادَ، وتذكرُ الروايات إنَّ السَّيَّابَ في أَوَّل أيَّامهِ في الكُلِّيَّة ببغدادَ يتحدَّثُ عن ما عاناهُ في الكُلِّيَّة إذ يقول: ((كيف كانتْ زميلاتهُ ينظرْنَ إلى شكلِهِ الغريب نظراتٍ ملؤها التَّعجُّبُ، كانتِ الطَّالباتُ يشرْنَ إليهِ ويتهامسْنَ: وقالتْ إحداهنَّ بصوتٍ مسموعٍ واسمُها نهادٌ ـ انظروا ـ هذا الطَّالب من الصِّينِ))[٧٧] رُبَّما كانتْ تستهزئ به وبشكله أو تستنقص منهُ ويبدو لي أن لهذه الحادثة أَثرًا واضحًا في نفسيّة السَّيَّاب وكيف ينظرْنَ؛ إليه بوصفِهِ من أهلِ الرِّيف وكذلك من الأَسباب الَّتي جعلتِ السَّيَّاب يحسُّ بالمفارقة في بغداد، سببٌ ماديٌّ جعل مِنْهُ غيرَ قادرٍ على استئجارِ سكنٍ أبانِ وجودِهِ في المدينة((بغداد))، كان يشعر في قرارة نفسهِ بأنَّه ليسَ نظيرًا لكثيرٍ من زملائهِ الَّذينَ يتحلَّونَ بالوسامة ويمتازونَ عَنْهُ بأنَّهم من أُسرةٍ ثريَّةٍ[٧٨].فإنَّ تلك الحوادثَ والأسبابَ كان لها أثرٌ واضحٌ في نفسيتهِ وتركهِ للمدينة والتَّوجّه نحو الرِّيف ((جيكور)) ((إنَّ تمسّك الشَّاعر بعالم القرية فإنَّهُ يُريد أنْ يخلقَ البديلَ عن عالم المدينة الملوث حتَّى وإنْ كانَ البديلُ وهمًا والعودة إليه متعذرةٌ))[٧٩]وبذلك أصبحتْ نظرتهُ سلبيةً اتِّجاه المدينة، وحتَّى قصص الحُبِّ الفاشل الَّتي حدثتْ في بغداد كانَ لها بالغُ الأَثرِ في ذاتِهِ، وبتلك الأَسباب فكان للسيّاب لابُدَّ مِنَ التَّخفيفِ عن نفسهِ والعودة إلى جيكور، وإنْ كانتِ العودةُ وهمًا أو خيالًا فإنَّهُ يجدُ في جيكور الصَّفاء والنَّقاء خلافٌ لِمَا وجدَهُ في المدينةِ من تمايز طبقيٍّ، فالمعادلةُ بينَ المدينة وجيكور معادلةُ تضادٍّ ففي المدينةِ تميّزٌ طبقيَّةٌ حتَّى على شكلِهِ، وعدم إحساسهِ بالراحة، أمَّا في جيكور فوجدَ الحُريَّةَ والمساواةَ فلا طبقيَّةَ فيها، فالحُريَّةُ هي المساواةُ في نفس السَّيَّاب حيثُ لا يشعرُ بالفوارقِ الشَّكليَّةِ والماديَّةِ خلاف ما وجدَهُ في المدينة((بغداد)).

ثالثًا. المستشفى بوصفهِ بيئةً.

كانتْ صِحَةُ السَّيَّاب تتدهورُ وباتَ الألَم في نفسهِ محبوسًا وتثاقلت حركة جسمه، بدأ صراع السَّيَّاب مع مرض العضال منذ سنة ١٩٦٠، أُدخلَ مستشفى الجامعة الأَمريكيَّة في بيروت ولم يتحسّنْ ثُمَّ سافرَ إلى إنجلترا ثُمَّ بعدَ ذلكَ سافر إلى الكويت قاصدًا مستشفى الأميري سنة ١٩٦٠/٧/٦ حيثُ كان ((طريح الفراشÊTRE CLOUÉ AU LIT))[٨٠] يشكو آلمًا تامًّا في أَطرافهِ السّفلى[٨١].فهو في هذه المرحلة أَي ما بعد صراعهِ مع المرض كان اتِّجاهُ قصائدهِ تتَّسمُ بروح اليأس والاستسلام للواقع، وهذا الاستسلام للواقع جعلَ بنفسيتهِ بـ((فقد الإرادة Aboulomania))[٨٢] بمواجهة الواقع الذي يعيشُهُ عبرَ صراعهِ مع المرض **((مدينة السراب))**[٨٣]

كأنَّني معانقٌ دمى على حجار
في منزلٍ لصوصُهُ الرِّياحُ والهجيرُ والغيوم

مساؤُهُ السُّكونُ والنُّجوم

وصبحُهُ انتظار

ترامتِ السُّنونَ بيننا دمًا ونار

نجد من النقاد المعاصرين ومنهم الدكتور سالم المعوش يقول:((إنَّ في قصيدة السَّيَّاب (مدينة السراب) الَّتي كتبها بعد سفرهِ من روما مرورًا بيروت كان السَّيَّاب يبحثُ عن أطيافِ المرآة الَّتي أحبَّها في ريعان شباب))[٨٤] ويبدو أَنَّ السَّيَّاب هنا في استذكارهِ لأَيَّام الماضي قضاها مع تلكَ المرآة ((استثارة الماضي Dernière excitabilité))[٨٥] ؛ما هو إلا محاولةٌ منه لتخفيف آلم نفسهِ عن طريق((انزياح Previa))[٨٦]و الانتقال إلى ((الفكر الواهم La pensée illusoire))[٨٧] فهي محاولة جيّدةٌ منهُ لتخفيف ذلك الأَلم واشغالُ نفسهِ من خلال العودة لذلك الماضي ، ونجدُ قصيدةُ أخرى للسياب **((في المستشفى))**[٨٨]:

كمستوحدٍ أَعزل في الشِّتاء

وقد أَوغل اللَّيل في نصفهِ

أَفاقَ فأَوقظَ عين الضِّياء

وقد خافَ من حقنة

أفاق على ضربةٍ في الجدارْ

هو الموتُ جاء!

...

هو الموتُ عبر الجدار!

إنَّ كلماتِ بدر هذه تُبَيِّنُ لنا إلى حدٍّ بعيدٍ مدى سوء الحالةِ النَّفسيَّة الَّتي أَلمَّت بهِ نتيجةَ المرض، والملاحظ في أَشعار السَّيَّاب بعد صراعهِ مع المرض فقد الأَمل في الحياة، وإنْ كانَ هنالكَ بعض الانزياح عن الواقع لإعادة الأَمل لكنَّ هذه المحاولاتِ لم تنفعْ لأَسبابٍ عدَّةٍ منها إنَّ مرض السَّيَّاب بدأَ بالاستفحالِ على جسدهِ ممَّا أنهكَ ذلك الجسدَّ النَّحيلَ((كان المرض يتطوَّرُ من سيئ إلى أسوإ))[٨٩]والسببُ الثَّاني الَّذي جعلَ منه يائسًا وفاقدًا الأَملَ قلَّةُ المالِ إذ لا يوجد لديه مالٌ لتدبيرِ أَمرهِ ((كانت مشكلة السَّيَّاب هي تدبير المال))[٩٠] ، لذلك نجد السَّيَّاب يترك أجواء المستشفى هاربًا إلى الماضي البعيد قاصدًا بذلكَ ما يُسمَّى بعلمِ النَّفس بـ((العلاج التَّرفيهيThérapie de loisirs))[٩١]، ونجدُ أيضًا تشوقًا وحنينًا منهُ إلى الحلم الذي راودهُ كثيرًا هو لقائُهُ بأُمِّهِ حتَّى وإنْ كانَ هذا اللِّقاءُ بالقبر؛ فالسَّيَّاب بسوء حالاتِهِ النَّفسيَّة والمرضيَّة يعاودُ طيفُ أُمُّهُ الَّتي تركتْهُ منذُ زمنٍ طويلٍ رُبَّما لِيُخفِّفَ بعضًا عمَّا في جسدهِ من آلامٍ، ونجدُ هذا التَّحولَ من أَلمِ المرض إلى الذَّاكرة والخيال تاركًا غربة المستشفى وكوابيسها **((كيف لم أحببْكِ))**[٩٢]

آه لو رجلايَ كالأمس تُطيقانِ المسيرا !
لطويتُ الأَرضَ بحثًا عنكِ
لكنَّ الجسورا
قطعتها بيننا الأَقدار . ماتَ الشَّاعر
فيَّ ونسدّت كوى الأَحلام

المرض ماضٍ على قدمٍ وساقٍ لا يمهلُ الشَّاعرَ ولا يسمحُ لهُ بالسَّير إلى ما يبتغي[٩٣]. ويبدو أنَّ رجوع السَّيَّاب في ذاكرته إلى الماضي وهو في المستشفى طريح الفراش هو أفضل مَا صنعَ السَّيَّابُ ذلك بأنَّهُ في حال مرضيَّةٍ أنهكت جسدَهُ ولا يملكُ من المال لِيُدبِّرَ العلاجَ فقامَ بآليةٍ نفسيَّةٍ لاشعوريَّةٍ عبرَ الـ ((التحويل Incarnations))[٩٤] من الموت والمرض والمستشفى الَّتي تُمثِّلُ له سجنًا يعزلُهُ عن الآخرينَ إلى الحب فأصبح لدينا معادلٌ موضوعيٌّ للدِّفاع عن ((الأنا Ego))[٩٥] ، فأصبحتْ علاقة تضادٍ بين المستشفى والموت الَّذي يأتيه عليه والحب والحنين، والأَخير يكونُ في نفسهِ عن طريق استثارة الماضي، وهذهِ الاستثارةُ تكونُ على قسمينِ حنينِهِ إلى أُمِّهِ وحنينِهِ إلى محبوباتِهِ اللَّواتي أَحبهنَّ، وسبب هذه الاستثارة كما ذكرتُ الابتعادُ عن أجواء المستشفى وما فيها من أَشياء تمنع السَّيَّاب عن الحرية فهي كالسَّجن في نفسهِ، وله قصائدُ كثيرةٌ كتبَها أبانَ وجودِهِ في المستشفى[٩٦]، ثمة هاجس رافقه السَّيَّاب في صراعهِ مع المرض هاجسُ الشّفاء والعودة كما كانَ يقولُ السَّيَّاب إلى صديقه مؤيد عبد الواحد : ((إنَّني أَتوقَّعُ معجزةً تأتني من السماء على صورة ملاك صغير بيدِهِ سعفةُ نخيل خضراء يضربني بها ضربة واحدة أَثناء نومي في اللَّيل وعندما يأتي الصَّباح تراني أسيرُ على قدم))[٩٧] يبدو أنَّ السَّيَّاب في المستشفى كان((يهذي Rave))[٩٨] في هذه الحالة وانتظارهِ للمعجزات؛ أو رُبَّما تذكرُهُ لسعفِ النَّخيل فيهِ دلالةٌ نفسيَّةٌ للماضي ريف جيكور إذ كان السَّيَّاب يحنُ إلى نخيل جيكور فهو يصور لنا تصويراً فوتوغرافياً عن نفسيتهِ المأزومة كأنَّ المستشفى سجنٌ على نفسهِ فهو رهين بينَ جدارينِ فكيف لشاعر مثل السَّيَّاب أَنْ يُصبحَ رهينًا للمستشفى وأَلم المرضِ فأخذ أن يخفف عن وطأة نفسه الَّتي تستوحشُ السّكون بالمستشفى، بآمال ومعجزاتٍ لِتُزيحَ بعضَ الآلام حتَّى وإنْ كانتْ وقتيَّةً.

المبحثُ الثَّالثُ

***أثرُ البيئات المتناقضة.**

هي مجموعة من العناصر والأماكن التي منها تكونت البيئة الطبيعيّة التي عاش وترعرع فيها السَّيَّاب، وكان أثرها متناقضاً في نتاجِه الشعري فمرّةً نجده يصوغها صورة وهي حافلة بكلّ سمات الأليفة المحبّبة لدى الشاعر، وتارة نجدهُ يصوغُها في صور غير محببة لهُ؛ وذلك نتيجة لظروف نفسية ومرضية عاشها السَّيَّاب مما جعلت لارتباط تلك البيئات في تجربة السَّيَّاب النفسيّة والشعريّة ذلك التناقض واضحاً في نتاجِه الشعري ومنها قرية جيكور.

أَوَّلًا. بيئةُ القريةِ ((جيكور الصّور الأَليفة))

ارتبطَ اسمُ السَّيَّاب بعددٍ من الأَماكن ومن أهمّ هذهِ الأَماكن قرية جيكور الَّتي وُلِدَ فيها السَّيَّابُ وأبصرَ النَّورَ، وكانتْ جيكور تُحيطُ بها غاباتُ النَّخيلِ مِنْ كُلِّ جهةٍ، فالسَّيَّابُ كانَ مِنْ أعمقِ الشُّعراءِ إحساسًا بالمفارقة فجذورهُ ما زالت تشدُّهُ إلى القريةِ وطفولتهِ التي لم ينْسَها أَبدًا((وفي جيكور يبدأُ الزَّمنَ وينتهي عندَ السَّيَّاب))[٩٩] وكأنَّها المدينةُ الفاضلةُ الَّتي يلجأُ إليها السَّيَّاب عندَما يحسُّ بمفارقتها، والحنينُ المفقودُ الَّتي ضاعتْ ولا يزال باحثًا عنها بل هي أُمُّهُ كما يقولُ في قصيدةِ **((جيكور امي))**[١٠٠]

تلكَ أمِّي، وأنْ جئتها كسيحًا

لاثمًا أَزهارَها والماء فيها والتُّرابا

...

هيهات إنَّها جيكورُ

جنَّةٌ كانَ الصَّبيُّ فيها وضاعتْ حينَ ضاعا

وفي قصيدة أُخرى **((أفياء جيكور))**[١٠١] إذ يقول:

جيكورُ، جيكورُ يا حقلًا مِنَ النُّور

يا جدولًا من فراشاتٍ نُطاردُها

في اللَّيلِ في عالَمِ الأَحلامِ والقمرْ

يا بابَ ميلادِنا الموصول بالرَّحم

من أَينَ جئتُكِ؟ مِنْ أَيِّ المقادير؟

يَصِفُ لنا السَّيَّابُ الأَجواء الإيجابية والمحبَّبة الَّتي عاشها في جيكور ولمناظرها قوة السّحر فيه فيختزلُ الزَّمن إلى الوراء، ويرى بعضُ النُّقاد المعاصرينَ ومنهم د. انطونيوس بطرس، أَنَّ عاطفية السَّيَّاب المعقدة أَرهقتْ نفسيَّتَهُ؛ ولذلكَ أَغرقته في لُججِ الماضي[١٠٢]. ويبدو لي أنَّ عودةَ السَّيَّاب إلى ماضي جيكور ما هو إلَّا تخفيفٌ عن معاناةِ الشَّاعر وغربته النَّفسيَّة والمرض الَّذي أصابَ جسدَهُ؛ لذلك يَصِفُ لنا أَيَّامَ طفولتهِ الَّتي عاشَها في جيكور، وهذا الوصفُ للماضي ((استثارة الماضي Dernière excitabilité))[١٠٣] ونحنُ إذ نُطيلُ المكوثَ في مرحلةِ بيئةِ الطّفولةِ المبكرةِ؛ لأَنَّنا نُدركُ أَهمّيتَها القصوى لنتاجِه الشِّعريّ والأَثر النَّفسيّ، فقد أَمدّتْهُ جيكور بأصعب الأَفكار وأروع الصّور الطّبيعيَّة وأَجمل العبارات فبادلَها العطاءَ بالرَّفاء والجزاء.

ونجدُ السَّيَّاب في قصيدة أُخرى يجسِّدُ معاني الحبِّ والوفاءِ لجيكور في قصيدة**((أَفياء جيكور))**[١٠٤] إذ يقول:

لولاكَ يا وطني

لولاك يا جنَّتي الخضراء يا داري

لَمْ تلقَ أوتاري
ريحًا فتنقلُ آهاتي وأشعاري
لولاك ما كانَ وجهُ اللهِ يا قدري
أفياء جيكور نبعٌ سال في بالي
أبلُّ منـــــها صدى روحـــــي

((عاش السَّيَّاب تجارب حياتهِ الاولى في جيكور وكان من الناس الذين يكسبون عيشهم من العمل في فلاحة النخيل وقطفهِ وتصنيعهِ))[١٠٥]وبهذا تكون جيكور رفيقة مسيرتهِ ومنبع طفولتهِ وحنينهِ إلى الماضي ، فجيكور استحوذت على افكار السَّيَّاب ونفسه ، الاستحواذ Acquisitions: هي الأشياء التي تؤثر بأفكار الشخص[١٠٦].مما يجعلنا نجد نوعاً من البعد النفسي في قصائد السَّيَّاب، فقد أختار السَّيَّاب العودة إلى الماضي والعيش فيه بدلاً من الحاضر التعيس ؛فالماضي يمثل جيكور و جيكور تمثل لهُ امه والأيام التي قضاها معها، ايام طفولة ذهبت بذهابها ((كانت الام تذهب إلى أرض والدتها الواقعة على بويب، وكان عالم الطفل الصغير يومئذٍ هو تلك الملاعب التي تمتد بين احياء جيكور ومزارع بويب))[١٠٧]، وبذلك فإنَّ تعلّق السَّيَّاب بجيكور ذهابهُ مع أُمِّه لزيارة جدتِه، واللَّعب في أفياء جيكور ومزارع بويب فهذانِ المكانانِ بقيا في ذاكرة السَّيَّاب وكان لهما نصيبٌ من حياتهِ حتَّى النَّهايةِ، فعودة السَّيَّاب النفسية المحبَّبة لجيكور هي شعورٌ((بالاطمئنان Contentement))[١٠٨] بدأ الماضي على زيفه اجمل من الحاضر وأكثر أماناً من المستقبل[١٠٩]. ويبدو لي كما اسلفت سابقاً أن عودة السَّيَّاب للماضي ما هي إلَّا اطمئنانًا لنفسه، وهذا الاطمئنان يتجسَّدُ في صورة جيكور المحبَّبة والأَليفة لنفسه الشَّاعر لأَنَّها جزءٌ من ذلكَ الماضي الَّذي فيه سكينة لنفسه السَّيَّاب واطمئناناً له، وفي صورة أخرى لبيئة جيكور تتكرّر معالم القرية وصورها النفسية المحببة لدى السَّيَّاب في قصيدة **((جيكور شابت))**[١١٠] إذ يقول :

إيه جيكورُ عندي سؤال أمَا تسمعينهُ
هل ترى أَنتِ في ذكريـــاتي دفينةْ
أمْ ترى أَنتِ القبـــرُ لها فابعثيها
وابْعَثيـــنـــي

*** بيئة القرية ((جيكور الصور غير الأليفة))**

قد ذكرتُ فيما سبق صور جيكور ألأليفة والمحببة لنفس السَّيَّاب، والآن أذكر جيكور بوصفها مكاناً غير أليف موحش غير محبب له، بيد أن السَّيَّاب ما يلبث أن يتحوّل عن الصورة

التي صاغها خيالهِ عن جيكور الأم ومرتع طفولتهِ والصبا، إلى صورة متناقضة أخرى إذا نجد تناقضاً ملحوظاً وهذا التناقض؛ نتيجة لحالة السَّيَّاب النفسيّة وتقلباتها، فالمكان جيكور متأصل بنفس السَّيَّاب لكونهِ مهد الطفولة((زاد تعلّقُهُ بها أَنَّهُ دُفنَ في ثراها أُمُّهُ))[١١١]فأصبحتْ جيكور حلمًا يركنُ إليه كُلَّما اشتدَّ آلمُهُ وضاقَ صدرُهُ، ولكنَّ سرعانَ ما أَصبحتْ جيكور مكانًا موحشًا للسَّيَّاب بعدَ أَنْ تخرَّجَ السَّيَّاب من دار المعلمينِ العاليةِ، وحينَما عادَ إلى قرية جيكور، لقد عادَ إلى القرية يجرُّ وراءَهُ أذيالَ الخيبة والحُزنِ يفتِّتُ كبدَهُ، فأمسى الرّيفُ في عينهِ مقبرةً مخيفةً[١١٢]، وكُلُّ هذا يتمظهرُ في قصيدة ((**في القرية الظلماء**))[١١٣]:

القريةُ الظَّلماء خاويةُ المعابرِ والدروب
تَتَجاوبُ الأَصداءُ فيها مثل أَيَّام الخريفْ
جوفاءُ في بطءٍ تذوبْ
وَسْتَيْقَظَ الْمَوتى ...هناكَ على التِّلال، على التِّلال
الرّيحُ تعولُ في الحقولِ وينصتونَ إلى الحفيف
يتطلَّعُونَ إِلَى الهِلَال
في آخرِ اللَّيلِ الثَّقيلِ وَيَرْجَعُونَ إِلَى القبور
يَتَساءَلُونَ متى النِّشور
لكنَّنِي في القريةِ الظَّلماءِ في الغابِ البعيدِ

فقد أَصبحتِ القريةُ دروبُها خاويَّةٌ من الأَحياء فخرجَ منها الأَمواتُ كأنَّها يومَ القيامةِ في نفس السَّيَّاب جحيمٌ وكابوسٌ، ونجدُ هذا التناقض اتِّجاه جيكور ((التَّناقض الوجداني Ambivalence))[١١٤]الَّذي باتَ ملموسًا في أشعارِهِ الجيكوريَّةِ [١١٥] فقد أصبحتْ جيكور حلمًا ضائعًا لنْ يعودَ ...وهو يُعاني ويترقَّبُ الموتَ[١١٦]، لقد أَصبحَ الخرابُ الَّذي خلَّفَهُ الزَّمنُ حِسِّيًّا يراهُ السَّيَّابُ في قريتهِ، بعدما كانتْ عامرةً في نفسهِ، فالقريةُ والسَّيَّاب كلاهما يعانيانِ تقدُّمًا بالعمر وضعفًا واضمحلالًا يؤدِّي إلى العدم والخراب، وهذا الاحساس ينبع من نفس الشاعر لأَنَّ ما كانَ ينظرُ إليه السَّيَّابُ، لقد تضاءلَ كُلُّ شيءٍ في عين السَّيَّاب ...إذ جعلَ جيكور خرائبَ[١١٧]. وهو يرى جيكور في نفسهِ حسرةً ترمزُ إلى إدراك وعلم السَّيَّاب بما سينتهي إليه هو وجيكور، ونجدُ في قصيدة ((**العودة إلى جيكور**))[١١٨] إحساسًا نفسيًّا عميقًا اتِّجاه جيكور حين يعودُ إليها مرّةً ثانيةً إذ يقول:

جيكورُ جيكورُ أينَ الخبزُ والماء؟
اللَّيلُ وافي وقد نام الأَدلَّاءْ
والرَّكبُ سهرانٌ مِنْ جوعٍ وَمِنْ عطش
والرّيح صَرٌّ، وَكلُّ الأُفقُ أَصداء

بيداء ما في مداها ما يبينُ بهِ

دربٌ لنا وسماء اللَّيل عمياءْ

جيكور مُدّي لنا بابًا فندخلَه

((نجدُ قصائدَهُ الجيكوريَّةَ الأُولى مفعمةً بالحنينِ والشَّوق والآمل بينَما نجدُ في الثَّانية الَّتي تتزامن مع مرضِه يكتبُ فيها بلغةِ الرّثاءِ لأيَّامِها الَّتي لم يجدْ منها شيئًا على أَرض الواقع)) وهذا ما أسلفتُ عنه بالتَّناقض في شاعريَّة السَّيَّاب ونفسه والمتأمّل لحياة السَّيَّاب سيدركُ مدى النَّكبات والتَّناقضات الَّتي عاشَها السَّيَّاب فهو يعاني من((تحويل الهوسConversion Manic))[١١٩]، إذ إنَّ الألَم والعذاب كانا رفيقيهِ منذ الصّغر لذلك نلحظُ كثيرًا من التَّناقضِ الوجدانيّ النَّفسيّ في أَشعارهِ وبالتَّالي هو نتيجةٌ لِمَا مرَّ به السَّيَّابُ في حياتهِ من تناقضاتٍ.

ثانياً. منزل الأقنان بوصفِ بيئةً ((الصور الأليفة))

إنَّ دار السَّيَّاب قد قسمت على قسمين دار جدّ السَّيَّاب ومنزل الأقنان الذي خلّدهُ كثيراً في شعرهِ يبعدُ هذا المنزل عشرين متراً عن الدار الحقيقيّة وكان يسمى((كوت المراجيح))، ((هو بيت واسع قديم مهجور يدعى كوت المراجيح باللهجة المحلية...قد دعاهُ بدر في شعرهِ فيما بعد منزل الأقنان))[١٢٠]ومنزل الأقنان هو عنوانٌ لمجموعة السَّيَّاب الشعرية لعددٍ من القصائد ففي قصيدة**((منزل الأقنان في جيكور))**[١٢١]يقول السَّيَّاب:

أَلَا يا منزلَ الأَقنانِ كَـمْ مِنْ ســـاعدٍ مفتول

رأيتُ ومن خُطًى يهــتـزُّ منها صخرُكَ الهاري

وَكَمْ أُغنيةٌ خضراءُ طارتْ في الضَّحى المغسول

بالشَّمسِ الخريفيَّةْ

تحدّث عن هوًى عاري

كمــاءِ الجدول الرقراقِ كَمْ شــوقٍ وأمنيةْ

لقد جاءت قصائد ((منزل الأَقنان)) وما بعدها في المرحلة الَّتي نشبَ المرضُ فيها أنيابَهُ بجسدِ السَّيَّاب حيثُ، كتب السَّيَّاب في عام ١٩٦٣ ثلاثٍ و أَربعينَ قصيدة: سفرة أيوب، منزل الأقنان[١٢٢]. ويبدو لي إن((توتر))[١٢٣] السَّيَّاب وصراعهِ النفسي مع المرض جعل منهُ لاستثارة الماضي؛ للخروج من الواقع الَّذي هو فيه إلى ذكريات قضاها في منزل الأَقنان إذ تمثّل لنفسه تلك الذكريات سكينة واطمئنان، ونجد صور أخرى لمنزل الأَقنان **((منزل الأقنان في جيكور))**[١٢٤]:

خرائبُ فانزعُ الأَبوابَ عنها تغذُ أطلالا

خوالٍ قد تصكُّ الرّيحُ نافذةً فتُشرعُها إلى الصّبح

تطلُّ عليكَ منها عين يومٍ دائب النَّوْح

وَسُلَّمُها المُحطّم، مثل برج دائر، مالا
يئنُّ إذا أَتتْهُ الرّيحُ تَصْعدُه إلى السَّطحِ
سـفيــنٌ تعـركُ الأَمـواجُ ألواهُ
...
أَلا يا منزلَ الأَقنانِ سقتْكَ الحياةُ سحبٌ
تُروّي قبريَ الظَّمــآن
تـلثـمُــهُ وتنسحب

بعد أنْ اشتدَّ مرضُ السَّيَّاب في هذا المرحلة الَّتي كتبَ فيهما قصائدَ منزلِ الأَقنان((١٩٦٣)) أي قبل وفاته بعام، ذهب السَّيَّاب في قصائدهِ إلى أيَّام ((كوت المراجيح)) الَّذي أَطلقَ عليه منزل الأَقنان في قصائدهِ إذ كان بدرًا وبعض أصحابه يحبّذونَ اللَّعبَ في منزل الأَقنان فهو يرسمُ لنا صورةَ الحياةِ في أَبواب ذلكَ البيتِ القديمِ، فهو بذلك يُريدُ الابتعادَ عن الحاضر، وهذا الابتعادُ ما هو إلَّا ابتعادُ حالةٍ نفسيَّةٍ مأزومةٍ على صعيدينِ الغربةِ النَّفسيَّةِ والمرضِ الَّذي أنهكَ جسدَهُ وأبعدَه عن الوطن، فهو يُريدُ أنْ يذهبَ بخيالِهِ النَّفسيّ إلى منزلِ الأَقنان بوصفهِ بيئةً أَليفةً محبَّبةً له ولنفسِهِ.

*** منزل الأقنان بوصفهِ بيئة ((الصّورُ غيرُ الأليفةِ))**

بعد أنْ أسلفتُ الحديث عن بيئة منزل الأقنان بوصفها بيئةً أليفة لنفس السَّيَّاب وما تُمثِّلُ له من أَهميةٍ، لكنَّ سرعانَ ما نجدُ تحوّلًا لهذهِ البيئة في نفسيَّة السَّيَّاب إذ تُصبحُ بعد حينٍ مِنَ الزَّمن مكانًا موحشًا مقفرًا وهذا يتمظهرُ في قصيدة ((دار جدي))[١٢٥]:

وحــيــن تقفرُ البيـــوتُ من بُنـــاتِها
وساكنيها من أغانــيها ومن أَشــكالها
نحـــسُّ كيــفَ يسحقُ الزَّمــان إذ يدور

إنَّ السَّيَّاب في هذا الأَبيات يشبّهُ البيوت بالأُمهاتِ فهو كما معروفٌ فقدَ أُمَّهُ في طفولتهِ المبكّرة ومن ثَمَّ أرادَ تعويضَ ذلك الفقدِ بجعلِ منزلِ الأقنان أُمًّا لهُ، وهو بالعودةِ إليه لا يجدُ ما تطمئِنُّ لهُ نفسُهُ بعدَ دورانِ الزَّمنِ بهِ: **نحسُّ كيف يسحقُ الزَّمان إذ يدورُ**، وفي القصيدة نفسها **((دار جدي))**[١٢٦] يتساءَلُ السَّيَّاب مع نفسهِ ويلفُّهُ اليأسُ المفجعُ عن سببِ حزنِهِ هذا وعن مصدرهِ:

وَهَلْ بكيْتَ أنْ تضعضعَ البناء
وأقفرَّ الفناء أَمْ بكيت ساكنيه؟
أَمْ أَنَّني رأيتُ في خرابِكَ الفناءْ
مُحدِّقًا إليَّ منك، من دمي
مُكَشِّرًا مِنَ الحجارِ؟ آهٍ، أيّ برعم

يُربُّ فيكَ؟ برعمُ الرَّدى! غدًا أموت!

((الموتُ يخيّمُ على كُلِّ شيءٍ فما أَصابَ السَّيَّابَ أصابَ دارَ جدِّهِ فكانَ وقوفُهُ أمامَها متسائلًا شبيهًا بوقوف البحتريّ عند أيوان كسرى))[١٢٧]، في الأبيات السَّابقة كُلُّ شيءٍ قابلٌ للحوار والمُداولة فهو يعاتبُ ساخرًا بنفسهِ؛ إنَّهُ لم يبكِ ولم يبالِ للفناء فهو لا يُريدُ الاهتمام بذلك المنزل القديم؛ لأَنَّهُ أَدركَ أَنَّ كُلَّ شيءٍ سيفنى وسيزولُ مؤكِّدًا لنا حقيقةً استسلامُ السَّيَّابِ النَّفسيّ إزاءَ الحياة، إذ كانَ ذلك المكانُ في مرحلة من الزَّمن يمثِّلُ لهُ بيئةً أَليفةً فأَمَّا الآنَ فلا يعني لهُ شيئًا ويبدو من خلال توظيفهِ لبيئة منزل الأقنان نستشفُّ ما يأتي:

ـ إنَّ شعورَ السَّيَّاب بقفرارِ الأَماكن وموتِها((**منزل الأَقنان**)) الَّتي تركَها السَّيَّابُ حينًا من الزَّمن ما هو إلَّا ((ضخامة الأنا l'ampleur de l'ego))[١٢٨]عندَ السَّيَّاب فهو يُريدُ أَنْ يُبيّنَ أَهميتَهُ في هذه الأَماكن .

ـ إنَّ تشبَّثَ السَّيَّاب بمنزل الأَقنان يُبيّنُ لنا تعلُّقَ السَّيَّاب بالماضي وبطفولتهِ، وَكُلُّ هذا ما هو إلَّا علاجًا لنفسهِ ((علاج معنويّTraitement moral))[١٢٩] فهو يكتبُ هذهِ القصائدَ في مرحلةِ اشتدادِ مرضِهِ فكانَ نكوضه إلى الماضي علاجًا معنويًا لنفسهِ.

((الخاتمة))

خلص البحث إلى نتائج يمكن أنْ نجملَها على النَّحو الآتي:

أَوَّلًا. أظهرَ البحث أماكنَ كان لها أثرٌ مهمٌّ في تكوين تجربة السَّيَّاب الشِّعريَّة والنفسيَّة، فكانتْ أجواءُ البيئة الرِّيفيَّة وعاداتهِ وتقاليدهِ من العواملِ المحفّزة الَّتي أثارتْ قريحةَ شاعرِنا، وكذلك الأَماكن الَّتي تنقَّلَ فيها السَّيَّاب.

ثانيًا. جاءتْ بعض الأَماكن محبَّبة على نفس السَّيَّاب ويأنسُ بها، ومنها غابات النَّخيل ((البساتين))، وبويّب، وبيئة الشَّناشيل، وقد وردت مفردة النَّخيل كثيرًا في شعر السَّيَّاب وهي تحملُ دلالاتٍ متُعَدِّدةً لِمَا تنمازُ به النَّخلة من مقدرةٍ وتحمّل للظّروف البيئة الصَّعبة، وهي في عطاءٍ دائم للإنسان وكذا حال السَّيَّاب فعلى الرَّغمِ من معاناتهِ من الاغتراب النَّفسي والمرض الَّذي أنهكَ جسدَهُ والألَم الَّذي يعيشُ فيه نجدُهُ ذا عطاءٍ مستمرٍّ **وقد مثَّلتِ النَّخلةُ معادلًا موضوعيًّا لذات السَّيَّاب،** وقد جاءتِ البيئةُ النَّهريَّةُ متمثِّلةُ بالنَّهر بوّب، كان السَّيَّاب يذكرُهُ أبانَ أزمتهِ المرضيَّةِ؛ لما يُمثِّلُ من ذكرياتٍ قديمةٍ؛ للخروج عمَّا هو فيه من أزمة نفسيَّة ومرضيَّة، وهو أشبهُ بالصَّديق الَّذي يشكو له، على حينَ جاءتْ بيئةُ الشَّناشيل رمزًا لأَيَّام الحبِّ الأَوَّلِ الفطريّ الطّفوليّ النَّقيّ الَّذي عاشَهُ في طفولتهِ وهي علاجٌ معنويٌّ، وهي الأَملُ الَّذي بَقِيَ يراودُهُ حتَّى لحظاتِهِ الأَخيرة، لذا جاءتْ صياغاته الشِّعريَّة صياغاتٍ محبَّبةً لنفسهِ وأليفة يأْوي إليها كُلَّما اشتدَّ به المرضُ.

ثالثًا. أظهر البحثُ أثرَ البيئاتِ غير الأَليفة في شاعريتهِ ومن هذه الأَماكن القبرُ، والمدينةُ، والمستشفى، فمفردةُ القبرِ تحمِلُ أثرًا سلبيًّا في نفسيَّتهِ، ويبدو لي أَنَّ مفردةَ القبرِ تعني للسَّيَّاب كُلَّ حاجزٍ يحولُ بينَهُ وبينَ مَنْ يُحِبُّ، حرَمَهُ من حنانِ الأُمِّ والجدَّةِ، ويأتي مرَّةً مُمثلًا في بغداد حينَما تكونُ غيرَ قادرةٍ على تغيير الواقع للأَفضل، فالمدينةُ عندَهُ قبرٌ؛ لشعورهِ بالتَّمايز الطَّبقيّ، والفَقْر الَّذي عانى منهُ، ونكوصه إِلى ماضي القرية جعل من المدينة غير أَليفة ففي القرية الصَّفاءُ والنَّقاءُ والمساواةُ على خلافِ ما وجدَهُ في المدينة، حتَّى مع كون القرية تجلَّت بوصفِها من البيئات المتناقضة، ومن ثُمَّ يأتي المستشفى بوصفهِ السّجن الَّذي يبعدُهُ عمَّا تتمنَّاهُ نفسه، وإِذا كانتِ البيئاتُ الأَليفة قد مثّلت المأَوى فإِنَّ البيئةَ غيرُ الأَليفةِ قد كانتِ العالمَ المجهولَ الَّذي يُغيّبُ كُلَّ الأَحلام السَّعيدة فمرَّةً يتجسَّدُ في مدينةٍ كبغدادَ وتارةً القريَّة فهي عالمٌ سلبَ من السَّيَّاب أحلامَهُ وأَدخلَهُ في غياهبِ المتاهات والأَلم.

رابعًا. استطاع خيال السَّيَّاب أن يرسم لنا البيئات المتناقض فتارةً محببة وأُخرى غير محببة لنفسه ومنها قريته، وهذا التَّناقضُ راجعٌ لمراحلِ حياتِهِ المتقلّبةِ.

خامسًا. إنّ تشبث السَّيَّاب ببعض البيئات(الأماكن) يبيّن لنا تعلّق السَّيَّاب بالماضي وبطفولتهِ وكل هذا هو علاجٌ معنويٌ لنفسه فهو يكتب هذه القصائد في مرحلة اشتدادِ مرضهِ فكان رجوعه إِلى الماضي علاجاً معنوياً لنفسهِ.

سادسًا. أَظهر البحثُ عناصرَ البيئةِ الطّبيعيَّةِ بِكُلِّ مكوناتِها، ولكلِّ عنصرٍ مكانةٌ في نفس السَّيَّاب تختلفُ عن الآخر، وكذلك تعلقُهُ بالبيئةِ الطّبيعيَّة ورجوعه نحو ماضي تلك الأَماكن إِذ أنفردَ بقدرةٍ عجيبةٍ من استرجاعه لصورِ الماضي وكأَنَّها مُعاشةً الآنَ.

الهوامشُ.

(١) مقولات أرسطو الَّتي تخصُّ علاقة الإبداع بالنَّفس: ظ: النفس عند فلاسفة الاغريق، د. حيات بنت سعيد بن عمر، قدّم الى مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإِسلامية، السعودية، العدد (٤٦)، محرم ١٤٣٠ :١٣١.

(٢) ظ: الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة التاسعة ٢٠٠٧، :٤٥.

٢ الأدب المقارن: ٤٥.

(٤) م: . ن : ٥١ .

(٥) ظ: النقد النفسي في كتاب عقدة اوديب في الرواية العربية . جورج طربيشي . ، رسالة ماجستير في النقد الأدبي و مصطلحاته، خديجة فارسي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية:٢.

(٦) فصَّلَ النُّقادُ القدماءُ الحديثَ عن علاقة الشِّعر والإبداع بالحالة النَّفسيَّة، ظ: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قراءُ وشرحه محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، جدة: ٢٥٩. وظ: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، مطبعة دار الحديث القاهرة، :٧٩/١. وظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامية، بيروت ـ لبنان ١٩٨١، :٢٢/٢. وصولًا إلى عبد القاهر الجرجاني ت((٤٧١هـ))، دلائل الإعجاز.

(٧) ظ: صحيفة بِشْر بن المعتمر في كتاب: البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، القاهرة، الطبعة الأُولى:١٠٧.

(٨) العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق مفيد محمد قحيمة، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى ١٩٩٨٣، :٣٣٧/٥.

(٩) ظ: التفسير النفسي للأدب، عزالدين اسماعيل، مكتبة غريب ـ القاهرة :١٢/٤-١١.

(١٠) نهر صغير يأتي منبعه من شط العرب ليحمل المياه الى جيكور.

(١١) ظ: بدر شاكر السيّاب دراسة في حياته وشعره، احسان عباس، دار الثقافة بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٧٨: ١٧.

(١٢) بدر شاكر السيّاب أُنموذج عصري لم يكتمل ((دراسة في تجربة السيّاب الحياتية والفنية والشعرية))، سالم المعوش، مؤسسة بحسون للنشر والتَّوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٦ :١٤

(١٣) بدر شاكر السيّاب أُنموذج عصري لم يكتمل:١٦.

(١٤) التفسير النفسي للأدب:٢٣.

(١٥) النهر والموت، الأَعمال الشعرية الكاملة: ٣٠٧.

(١٦) هرم المغني، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة:٢٢٤.

(١٧) العودة الى جيكور، بدر شاكر السيّاب الأَعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السيّاب، تقديم ناجي علوش، دار الحياة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ٢٠١١ :٢٩٢.

(١٨) أُنشودة المطر، الأَعمال الشعرية الكاملة :٣١٨.

(١٩) ظ: بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع، انطونيوس بطرس، المؤسسة الحديثة للكتّاب، طرابلس ـ لبنان : ١٥٣.

(٢٠) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي، ميشيل غود فريد، ترجمة حبيب نصر الله نصر الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان: ١٥.

(٢١) ظ: م . ن: ٤٦.

(٢٢) التفسير النفسي للأدب :٥٨-٥٩.

(٢٣) تنهدات، الأَعمال الشعرية الكاملة: ٥١٤-٥١٥.

[٢٤] الصور الشعرية في شعر السيّاب ((أُنشودة المطر أُنموذجا))، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، للباحثة كريمة بوعامر، قدمت الى كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر:٣٥.

[٢٥] ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفس :١٣.

[٢٦] ظ: م . ن: ٣٤.

[٢٧] أشكال الحنين الى الماضي في شعر السيّاب، د. سيد رضا امير احمدي، مجلة الدراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، تصدر عن جامعة سمنان الإيرانية بالتعاون مع جامعة تشرين الدورية، العدد الحادي عشر، ٢٠١٢ :١٥٥.

[٢٨] من القصائدِ الَّتي يتغنَّى بها السَّيَّاب بالنَّخيل قصيدة ((فرار عام ١٩٥٣))، ظ: الأَعمال الشِّعرية الكاملة:١٦٨.

[٢٩] ظ: بدر شاكر السيّاب دراسة في حياته وشعره:٢٠-١٩.

[٣٠] النهر والموت، الأَعمال الشعرية الكاملة: ٣٠٩-٣١٠.

[٣١] الخطاب النقدي حول السيّاب، جاسم حسين الخالدي، مطبعة دار الشؤون الثقافية بغداد، ٢٠٠٧ :٧١.

[٣٢] سيكولوجيا النمو، د. عبد الرحمن العيسوي، دار النهضة العربية بيروت ـ لبنان ١٩٧٦ :٣٨٩.

[٣٣] ظ: بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع:٢٠٥.

[٣٤] التفسير النفسي للأدب: ٣٦.

[٣٥] الخطاب النقدي حول السيّاب:٧١.

[٣٦] بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع:١٥٨.

[٣٧] ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي:١٣.

[٣٨] ظ: م . ن :١٥.

[٣٩] ظ: م . ن:١١٧.

[٤٠] تفريغ عاطفي يحدث فجأةً نتيجة التحرر من اللاشعور والتلفظ بأحداث معينة، ظ: م . ن:٤١.

[٤١] يا نهر، الأَعمال الشعرية الكاملة:٥٧٠.

[٤٢] آلية دفاع الأنا القائمة على الرفض وعلى الحفاظ على أدراكات حسية في اللاشعور ((ذكريات وصور)) مرتبطة بدافع ما، ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي:١١١.

[٤٣] الشناشيل: هو تسمية لشباك مزخرف بالزّهور كانت ابنة الجلبي تبادل السيّاب نظرات الحب عندما كان السيّاب يمرُّ امامها.

(٤٤) بدر شاكر السيّاب الأَعمال الشعرية الكاملة:٣٢. (صدر الدّيوان سنة ١٩٦٤عن دار الطليعة).

(٤٥) ظ: بدر شاكر السيّاب حياته وشعره:٢٥-٢٤-٢٣.

(٤٦) بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع: ٨٧.

(٤٧) أُنشودة المطر، الأَعمال الشعرية الكاملة:٣٨٩.

(٤٨) شناشيل ابنة الجلبي، الأَعمال الشعرية الكاملة:٣٩٠

(٤٩) ظ: شناشيل ابنة الجلبي، الأَعمال الشعرية الكاملة: ٣٨٨.

(٥٠) الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر ((**مرحلة الرواد**))، محمود راضي جعفر، منشورات اتحاد وكتّاب العرب، ١٩٩٩ :٥٢.

(٥١) ظ: بدر شاكر السيّاب الأَعمال الشعرية الكاملة :٤٧١.

(٥٢) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :٢٢.

(٥٣) ظ: م . ن :٩٦.

(٥٤) شناشيل ابنة الجلبي، الأَعمال الشعرية الكاملة :٣٩٠.

(٥٥) شعر بدر شاكر السيّاب دراسة فنية وفكرية:٣٩٠

(٥٦) انتصارات التَّحليل النفسي، بيير داكو، ترجمة وجيه السعد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٧٢ :٢٠٧

(٥٧) شعر بدر شاكر السيّاب دراسة فنية وفكرية :٤٨.

(٥٨) أُنشودة المطر، الأَعمال الشعرية الكاملة :٣١٩.

(٥٩) شعر بدر شاكر السيّاب دراسة فنية وفكرية :٤٨.

(٦٠) الاغتراب في الشعر العراقي ((مرحلة الرواد)) :١٢.

(٦١) رثاء جدتي، الأَعمال الشعرية الكاملة :٥٠٢.

(٦٢) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :١٠٠.

(٦٣) الباب تقرعهُ الرياح، الأَعمال الشعرية الكاملة :٣٩٨.

(٦٤)ظ: رثاء جدتي، الأَعمال الشعرية الكاملة: ٥٠٣-٥٠٢.

(٦٥) ظ: بدر شاكر السيّاب دراسة في حياته وشعره :٣٠٨.

(٦٦) شعر بدر شاكر السيّاب دراسة فنية وفكرية:٢١٠.

(٦٧) جيكور وأَشجار المدينة، الأَعمال الشعرية الكاملة:٤٠٩.

(٦٨) ظ: أَشكال الحنين الى الماضي في شعر بدر شاكر السياب:١٦٠.

(٦٩) المدينة الحلم في شعر السياب، د. جاسم حسين الخالدي، جامعة واسط، كلية التربية، قسم اللغة العربية :٧٨.

(٧٠) ظ: بدر شاكر السياب شاعر الوجع:٩٤.

(٧١) ظ: مصطلحات في علم النَّفس والطّب النَّفسي:١٠٥

(٧٢) ظ: شعر بدر شاكر السياب دراسة فنيَّة وفكريَّة:٢١١.

(٧٣) ظ: مصطلحات في علم النفس والطّب النّفسي:٢٢.

(٧٤) بدر شاكر السياب شاعر الوجع: ٢٤٢-٢٤٣.

(٧٥) جيكور وأَشجار المدينة، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة :٤٠٩.

(٧٦) جيكور والمدينة، الأَعمال الشعرية الكاملة :٢٨٨.

(٧٧) شعر بدر شاكر السيّاب دراسة فنيَّة وفكرية:٥٦.

(٧٨) ظ: م. ن :٥٦.

(٧٩) الخطاب النقدي حول السيّاب :١١٧.

(٨٠) ظ: مصطلحات في علم النَّفس والطب النفسي:٩٠.

(٨١) ظ: بدر شاكر السيّاب، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة:٤٩٥.

(٨٢) ظ: مصطلحات في علم النَّفس والطّب النَّفسي:١٠٤.

(٨٣) مدينة السَّراب، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة:١٤٤.

(٨٤) بدر شاكر السيّاب أُنموذجٌ عصريٌّ لم يكتمل :٢١٧.

(٨٥) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :١٣.

(٨٦) ظ: م . ن:٢٢.

(٨٧) ظ: م.ن:١٠٥.

(٨٨) في المستشفى، الأَعمال الشعرية الكاملة :٤٣٢.

(٨٩) م. ن :٤٩٥.

(٩٠) بدر شاكر السيّاب أُنموذج عصري لم يكتمل:٢٢٢.

(٩١) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي:٩٦.

(٩٢) كيف لم احببكِ، الأَعمال الشعرية الكاملة :٤٢٧.

(٩٣) م. ن: ٤٩٥.

(٩٤) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :٣٦.

(٩٥) ظ: م . ن:١٣.

(٩٦) ظ: عكاز في الجحيم، الأَعمال الشعرية الكاملة :٤٤٠-٤٤١.

(٩٧) بدر شاكر السيّاب دراسة في حياته وشعره :٣٥٤.

(٩٨) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :١٤٤.

(٩٩) بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع :١٥٩.

(١٠٠) جيكور أُمي، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة :٤٢٢-٤٢١.

(١٠١) أَفياء جيكور، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة :١٥٨.

(١٠٢) ظ: بدر شاكر السَّيَّاب شاعر الوجع :١٥٦.

(١٠٣) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :١٣.

(١٠٤) افياء جيكور، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة :١٦١-١٦٠.

(١٠٥) بدر شاكر السيّاب أُنموذج عصريّ لم يكتمل :١٤.

(١٠٦) ظ: مصطلحات في علم النَّفس والطّب النَّفسي :١٣.

(١٠٧) بدر شاكر السيّاب دراسة في حياته وشعره :١٩، ٢٠.

(١٠٨) ظ: مصطلحات في علم النَّفس والطّب النَّفسي :١٥.

(١٠٩) ظ: بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع :١٥٨.

(١١٠) جيكور شابت، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة :١٧١-١٧٢.

(١١١) بدر شاكر السَّيَّاب دراسة في حياته وشعره :٢٠.

(١١٢) ظ: بدر شاكر السَّيَّاب شاعر الوجع :٩٩.

(١١٣) في القرية الظَّلماء، الأَعمال الشِّعريَّة الكاملة :١٠٢.

(١١٤) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :٤٦.

(١١٥) جيكور شابت، الأَعمال الشعرية الكاملة :١٧.

(١١٦) ظ: ثنائية القرية . المدينة في التجربة السيّابية، د. سعيد ابو سقاطة، مجلة الموقف الأدبية، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد كتّاب العرب ـ دمشق، العدد ٣٧٥، تموز، ٢٠٠٢.

(١١٧) ظ: بدر شاكر السيّاب الأَعمال الشعرية الكاملة :٣٠.

(١١٨) العودة الى جيكور، الأَعمال الشعرية الكاملة :٢٩٠.

(١١٩) انقلاب المزاج فمن مزاج كئيب يصبح مرحاً، ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :٣٧.

(١٢٠) بدر شاكر السيّاب حياته وشعره :٢٥-٢٦.

(١٢١) منزل الأَقنان في جيكور، الأَعمال الشعرية الكاملة :٢٠٧-٢٠٨.

(١٢٢) ظ: بدر شاكر السيّاب شاعر الوجع :٢٠٥.

(١٢٣) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي :٤٧.

(١٢٤) منزل الأقنان في جيكور، الأَعمال الشعرية الكاملة :٢٠٩-٢٠٧.

(١٢٥) دار جدي، الأَعمال الشعرية الكاملة :١٣٤.

(١٢٦) م. ن :١٣٤.

(١٢٧) موت المكان في شعر السيّاب: ٢٥.

(١٢٨) ظ: مصطلحات في علم النفس والطب النفسي:٨٨.

(١٢٩) ظ: م.ن:١٣٢.

List of sources and references

(a) Books

1. Comparative Literature, Muhammad Ghoneimi Hilal, Nahdet Misr Printing and Publishing, Ninth Edition, 2007 AD.
2. Alienation in Contemporary Iraqi Poetry ((The Pioneer Stage)), Mahmoud Radi Jaafar, Arab Writers Union Publications, 1999 AD.
3. The Triumphs of Psychoanalysis, Pierre Daco, translated by Wajih Al-Saad, Ministry of Culture and National Guidance - Damascus 1972 AD.
4. Badr Shaker Al-Sayyab, The Complete Poetic Works, Badr Shaker Al-Sayyab, presented by Naji Alloush, Dar Al-Hayat for Publishing and Distribution, first edition 2011 AD.
5. Badr Shaker Al-Sayyab, The Complete Poetic Works, Badr Shaker Al-Sayyab, presented by Naji Alloush, Dar Al-Hayat for Publishing and Distribution, first edition 2011 AD.
6. Badr Shaker Al-Sayyab, an unfinished modern model ((A study of Al-Sayyab's life, artistic and poetic experience)), Salem Al-Maoush, Bahsoun Publishing and Distribution Foundation, Beirut - Lebanon, first edition 2006.
7. Badr Shaker Al-Sayyab, His Life and Poetry, Issa Balata, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon, sixth edition 2007 AD.
8. Badr Shaker Al-Sayyab, a study of his life and poetry, Ihsan Abbas, Dar Al-Thaqafa, Beirut - Lebanon, fourth edition, 1978 AD.
9. Badr Shaker Al-Sayyab, Poet of Pain, Antonius Boutros, Modern Foundation for Writers, Tripoli, Lebanon.
10. Al-Bayan wal-Tabin, Abu Othman Amr bin Bahr Al-Jahiz, edited by Abdul Salam Haroun, Ibn Sina Publishing and Distribution Library, 2010, Cairo, first edition.

11. The Psychological Interpretation of Literature, Ezz El-Din Ismail, Gharib Library - Cairo, 4th edition.
12. The Critical Discourse on Al-Sayyab, Jassim Hussein Al-Khalidi, House of Cultural Affairs Press, Baghdad, 2007 AD.
13. Developmental Psychology, Dr. Abdul Rahman Al-Issawi, Arab Renaissance House, Beirut - Lebanon, 1976 AD.
14. The poetry of Badr Shaker Al-Sayyab, an artistic and intellectual study, Hassan Tawfiq, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon, first edition, 1979 AD.
15. Poetry and Poets, Ibn Qutaybah, Dar Al-Hadith Press, Cairo, Part: 1.
16. Classes of Poetry Stallions, Muhammad bin Salam Al-Jumahi, read and explained by Muhammad Mahmoud Shaker, Al-Madani Press, Jeddah.
17. The Unique Contract, Ibn Abd Rabbuh, edited by Mufid Muhammad Qahimah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, first edition, 19983, vol. 5.
18. Terms in Psychology and Psychiatry, Michel Goode Farid, translated by Habib Nasrallah Nasrallah, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 2010 AD.
19. Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adabā', Hazem al-Qartajani, edited by Muhammad al-Habib ibn al-Khawja, Dar al-Gharb al-Islamiyyah, Beirut, Lebanon 1981, 2nd edition.

(b) University theses

1. The poet of Mesopotamia Badr Shaker Al-Sayyab, by the researcher, Ahmed Saleh, a doctoral dissertation, submitted to the College of Arabic Language (Al-Azhar), in the year 1397 AH.
2. Poetic images in Al-Sayyab's poetry ((The Rain Song as a Model)), a master's thesis in literature and criticism, by researcher Karima Bouamer, submitted to the Faculty of Arts, Department of Arabic Language, University of Algiers, 2001-2002 AD.

3. Psychological criticism in the book The Oedipus Complex in the Arabic Novel - George Tarbishi, Master's Thesis in Literary Criticism and Its Terminology, Khadija Farsi, University of Kasdi-Merbah Ouargla (Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language) 2013-2014 AD.

(c) Research published in periodicals.

1. Forms of nostalgia for the past in Al-Sayyab's poetry, Dr. Sayyed Reza Amir Ahmadi, Journal of Studies in Arabic Language and Literature, a peer-reviewed quarterly, issued by the Iranian Semnan University in cooperation with Tishreen University, periodical, issue eleven, 2012 AD.

2. Badr Shaker Al-Sayyab...Your Eyes are Forests of Palms, Mushtaq Bassem, article on the Internet ((Cafe Beiruti)), 2014 AD, http://cafebeiruti.blogspot.com/2014/09/blog-post_45.html.

3. The duality of the village and the city in the political experience, Dr. Saeed Abu Saqata, Al-Mawqif Literary Magazine, a monthly magazine issued by the Arab Writers Union - Damascus, Issue 375, July 2002.

4. Religious symbols according to Al-Sayyab, Jawda Nasr, article for Al-Nizwa Magazine, Issue Twenty-One 1978 AD, http://www.nizwa.com.

5. The symbolic nature in the poetry of Al-Sayyab and Nima Yushaj, Dr. Hamid Sedghi Jamal Al-Nasrawi, Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Peer Reviewed Quarterly, Issue (15), 2013 AD, Tehran - Iran.

6. A reading of the poem The River and Death, Muntazer Al-Sawadi, article on the Internet, 7/24/2011 AD, http://www.aldiyarlondon.com/culture/1-articles/1780-2016-07-09-09-44-53.

7. The dream city in the poetry of Al-Sayyab, Dr. Jassim Hussein Al-Khalidi, University of Wasit, College of Education, Department of Arabic Language, Volume 11, Issue 41, Eleventh Year, June, 2015 AD.

8. The Death of Place in the Poetry of Al-Sayyab, Issa Salman Darwish, published research, College of Qur'anic Studies, University of Babylon, 2011 AD.

9. The soul according to the Greek philosophers, Dr. Hayat bint Saeed bin Omar, submitted to the Umm Al-Qura University Journal of Sharia Sciences and Islamic Studies, Saudi Arabia, Issue (46), Muharram 1430.